۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾

تعنت و مآل الكافرين 21-24

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا)

المكذبون للرسول المكذبون بوعد الله و وعيده الذين ليس في قلوبهم خوف الوعيد و لا رجاء لقاء الخالق.

(لَوۡلَآ)هلا (أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)نزلت الملائكة تشهد لك بالرسالة و تؤيدك عليها أو تنزل رسلا مستقلين

*كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:-{قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ} [الأَنْعَام: 124]

*وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَلَوْ أَنَّنَا نزلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ} [الأَنْعَام: 111]

(أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ)فيكلمنا و يقول:—هذا رسولى فاتبعوه؟

و هذا معارضة للرسول بما ليس بمعارض بل بالتكبر و العلو و العتو.

(لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ)حيث اقترحوا هذا الاقتراح و تجرأوا هذه الجرأة فمن أنتم يا فقراء و يا مساكين حتى تطلبوا رؤية الله و تزعموا أن الرسالة متوقف ثبوتها على ذلك؟ و أى كبر أعظم من هذا؟.

(وَعَتَوۡ)قسوا و صلبوا عن الحق(عُتُوّٗا كَبِيرٗا)قساوة عظيمة

فقلوبهم أشد من الأحجار و أصلب من الحديد لا تلين للحق و لا تصغى للناصحين

فلذلك لم ينجع فيهم وعظ و لا تذكير و لا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير

بل قابلوا أصدق الخلق و أنصحهم و آيات الله البينات بـــ:—

الإعراض و التكذيب و المعارضة فأى عتو أكبر من هذا العتو؟

و لذلك بطلت أعمالهم و اضمحلت و خسروا أشد الخسران و حرموا غاية الحرمان(٢١)

(يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ)التى اقترحوا نزولها(لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ)لا لتبشرهم بالجنة

*و ذلك أنهم لا يرونها مع استمرارهم على جرمهم و عناده إلا لعقوبتهم و حلول البأس بهم

فأول ذلك عند الموت إذا تنزلت عليهم الملائكة قال الله تعالى:-

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)

ثم فى القبر حيث يأتيهم منكر و نكير فيسألهم عن ربهم و نبيهم و دينهم فلا يجيبون جوابا ينجيهم فيحلون بهم النقمة و تزول عنهم بهم الرحمة ثم يوم القيامة حين تسوقهم الملائكة إلى النار

ثم يسلمونهم لخزنة جهنم الذين يتولون عذابهم و يباشرون عقابهم

فهذا الذى اقترحوه و هذا الذي طلبوه إن استمروا على إجرامهم لا بد أن يروه و يلقوهو حينئذ يتعوذون من الملائكة و يفرون و لكن لا مفر لهم.

(وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا)وَ تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْكَافِرِينَ حَرَام مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمُ الْفَلَّاحُ الْيَوْمَ

و لكن لتقول لهم:جعل الله الجنة مكانًا محرمًا عليكم.

(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ)

*كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}[الأَنْفَال: 50](٢٢)

(وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ)أعمالهم التى رجوا أن تكون خيرا لهم و تعبوا فيها

(فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا)شُعَاعُ الشَّمْسِ إِذَا دَخَلَ فِي الكَوَّة_ما يُرى فى ضوء الشمس من خفيف الغبار

*أى باطلا مضمحلا قد خسروه و حرموا أجره و عوقبوا عليه و ذلك لفقده الإيمان و صدوره عن مكذب لله و رسله فالعمل الذى يقبله الله ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسل المتبع لهم فيه.

*وَ حَاصِلُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ التنبيهُ عَلَى مَضْمُونِ الْآيَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا أَعْمَالًا اعْتَقَدُوا أَنَّهَا شَيْءٌ فَلَمَّا عُرِضَتْ عَلَى الْمَلِكِ الْحَكِيمِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ وَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا إِذَا إِنَّهَا لَا شَيْءَ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَ شُبِّهَتْ فِي ذَلِكَ بِالشَّيْءِ التَّافِهِ الْحَقِيرِ الْمُتَفَرِّقِ الَّذِى لَا يَقْدِرُ مِنْهُ صَاحِبُهُ عَلَى شَيْءٍ بِالْكُلِّيَّةِ

كَمَا قال اللَّهُ{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} [إِبْرَاهِيمَ: 18] وَ قَالَ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا}

[البَقَرَة: 264] وَ قَالَ{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}[النُّور: 39](٢٣)

في ذلك اليوم الهائل كثير البلابل(أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ)الذين آمنوا بالله و عملوا صالحا و اتقوا ربهم

(يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا)من أهل النار(وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا)أى:-مستقرهم فى الجنة و راحتهم التى هى القيلولة

هو المستقر النافع و الراحة التامة لاشتمال ذلك على تمام النعيم الذى لا يشوبه كدر

بخلاف أصحاب النار فإن جهنم ساءت مستقرا و مقيلا و هذا من باب استعمال أفعل التفضيل

فيما ليس فى الطرف الآخر منه شيء لأنه لا خير فى مقيل أهل النار و مستقرهم كقوله:-(آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ) ﴿٢٤﴾

من مشاهد يوم القيامة 25-29

*يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة و ما فيه من الشدة و الكروب و مزعجات القلوب فقال:-

و اذكر- أيها الرسول(وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ)و يظهر من فتحاتها(بِٱلْغَمَٰمِ)السحاب الأبيض الرقيق

*وَ هَذَا كَمَا قَالَ{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ}[البقرة: 210]

*و ذلك الغمام الذى ينزل الله فيه ينزل من فوق السماوات فتنفطر له السماوات و تشقق

(وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا)

فيحيطون بالخلائق في المحشر و يأتي الله تبارك و تعالى لفصل القضاء بين العباد إتيانًا يليق بجلاله.

*و تنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفا صفا إما صفا واحدا محيطا بالخلائق و إما كل سماء يكونون صفا ثم السماء التى تليها صفا و هكذا.

القصد أن الملائكة – على كثرتهم و قوتهم– ينزلون محيطين بالخلق مذعنين لأمر ربهم لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله

فما ظنك بالآدمى الضعيف خصوصا الذي بارز مالكه بالعظائم و أقدم على مساخطه ثم قدم عليه بذنوب و خطايا لم يتب منها فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذى لا يجور و لا يظلم مثقال ذرة ﴿٢٥﴾و لهذا قال:–

(وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا)

لصعوبته الشديدة و تعسر أموره عليه بخلاف المؤمن فإنه يسير عليه خفيف الحمل.

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا)

(ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ)أى:يوم القيامة

(ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ)لا يبقى لأحد من المخلوقين ملك و لا صورة ملك كما كانوا فى الدنيا

بل قد تساوت الملوك و رعاياهم والأحرار و العبيد و الأشراف و غيرهم و مما يرتاح له القلب و تطمئن به النفس و ينشرح له الصدر أن أضاف الملك فى يوم القيامة لاسمه «الرحمن»الذى وسعت رحمته كل شيء

و عمت كل حى و ملأت الكائنات و عمرت بها الدنيا و الآخرة و تم بها كل ناقص و زال بها كل نقص

و غلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب

و سبقت رحمته غضبه و غلبته فلها السبق و الغلبة و خلق هذا الآدمى الضعيف و شرفه و كرمه ليتم عليه نعمته و ليتغمده برحمته و قد حضروا فى موقف الذل و الخضوع و الاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم

و ما يجرى عليهم و هو أرحم بهم من أنفسهم و والديهم فما ظنك بما يعاملهم به

و لا يهلك على الله إلا هالك و لا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة و حقت عليه كلمة العذاب.

* كَمَا قَالَ تَعَالَى{لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غَافِر: 16]

وَ فِي مسلم(2788) عن عَبْدِ اللهِ بْنُ عُمَرﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-

يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟(٢٦)

(وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ)بشركه و كفره و تكذيبه للرسل(عَلَىٰ يَدَيْهِ)تأسفا و تحسرا و حزنا و أسفا.

(يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا)طريقا بالإيمان به و تصديقه و اتباعه(٢٧)

(يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا)و هو الشيطان الإنسى أو الجنى

(خَلِيلًا)حبيبا مصافيا عاديت:-أنصح الناس لى و أبرهم بى و أرفقهم ب

و واليت:-أعدى عدو لى الذى لم تفدنى ولايته إلا الشقاء و الخسار و الخزى و البوار (٢٨)

(لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي)حيث زين له ما هو عليه من الضلال بخدعه و تسويله.

(وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا)يزين له الباطل و يقبح له الحق و يعده الأمانى ثم يتخلى عنه و يتبرأ منه

كما قال لجميع أتباعه حين قض الأمر و فرغ الله من حساب الخلق

*يَخْذُلُهُ عَنِ الْحَقِّ وَ يَصْرِفُهُ عَنْهُ وَ يَسْتَعْمِلُهُ فِي الْبَاطِلِ وَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ.

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ

فلينظر العبد لنفسه وقت الإمكان و ليتدارك الممكن قبل أن لا يمكن و ليوال من ولايته فيها سعادته و ليعاد من تنفعه عداوته و تضره صداقته. و الله الموفق.

*الصحيح المسند من أسباب النزول( )عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا معيط كان يجلس مع النبى ﷺبمكة لا يؤذيه و كان رجلا حليما و كان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه و كان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش: صبأ أبو معيط و قدم خليله من الشام ليلا فقال لامرأته:

ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمرا. فقال: ما فعل خليلى أبو معيط؟

فقالت: صبأ. فبات بليلة سوء! فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية

فقال: مالك لا ترد على تحيتي فقال:- كيف أرد عليك تحيتك و قد صبوت؟

فقال: أوقد فعلتها قريش؟ قال فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟

في الدر المنثور ج5 ص68 أخرج ابن مردويه و أبو نعيم في الدلائل بسند صحيح

قال: تأتيه فى مجلسه و تبزق فى وجهه و تشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم ففعل فلم يزد النبى ﷺأن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال:-إن وجدتك خارجا من جبال مكة أضرب عنقك صبرا
فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبي أن يخرج فقال له أصحابه: اخرج معنا.
قال قد وعدنى هذا الرجل إن وجدنى خارجا من جبال مكة أن يضرب عنقى صبرا
فقالوا:لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه فخرج معهم فلما هزم الله المشركين و حل(1) به جمله فى جدد من الأرض فأخذه رسول الله ﷺأسيرا فى سبعين من قريش و قدم إليه أبو معيط فقال: تقتلنى من بين هؤلاء.قال: "نعم بما بزقت فى وجهى"
فأنزل الله فى أبى معيط:{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}إلى قوله{وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}( )﴿٢٩﴾

(وَقَالَ ٱلرَّسُولُ)مناديا لربه و شاكيا له إعراض قومه عما جاء به و متأسفا على ذلك منهم:-

(يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي)الذى أرسلتنى لهدايتهم و تبليغهم

(ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا)

قد أعرضوا عنه و هجروه و تركوه و تركوا تبليغه مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه و الإقبال على أحكامه و المشى خلفه
*وَ ذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصغُون لِلْقُرْآنِ وَ لَا يَسْمَعُونَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-
{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}[فُصِّلَت: 26]
*وَ كَانُوا إِذَا تُلَىَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَ الْكَلَامَ فِي غَيْرِهِ حَتَّى لَا يَسْمَعُوهُ.
فَهَذَا مِنْ هُجْرَانِهِ وَ تَرْكُ عِلْمِهِ وَ حِفْظِهِ أَيْضًا مِنْ هُجْرَانِهِ وَ تَرْكُ الْإِيمَانِ بِهِ وَ تَصْدِيقِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ وَ تَرْكُ تَدَبُّرِهِ وَ تَفْهُّمِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ وَ تَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ وَ امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَ اجْتِنَابِ زَوَاجِرِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ ﴿٣٠﴾
*قال الله مسليا لرسوله و مخبرا أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم فقال:-

موقف المشركين من القرآن 30-34

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ)

أي: من الذين لا يصلحون للخير و لا يزكون عليه يعارضونهم و يردون عليهم و يجادلونهم بالباطل.

من بعض فوائد ذلك:-

1-أن يعلو الحق على الباطل

2-و أن يتبين الحق و يتضح اتضاحا عظيما لأن معارضة الباطل للحق مما تزيده وضوحا و بيانا وكمال استدلال

3-و أن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة و بأهل الباطل من العقوبة

فلا تحزن عليهم و لا تذهب نفسك عليهم حسرات

الوحل الطين الرقيق ووحل الرجل أى وقع فى الوحل. ا. هـ مختار الصحاح باختصار.
الحديث لم يتيسر لى الوقوف على سنده لكن فى مصنف عبد الرزاق ج5 ص355، 356 وتفسير ابن جرير قصة تشبهها و هى مرسلة لكن بدل عقبة بن أبى معيط أبى بن خلف. و نحن الآن متوقفون من الحكم عليه لأن السيوطى رحمه الله متساهل.

* كَمَا حَصَلَ لَكَ -يَا مُحَمَّدُ -فِي قَوْمِكَ مِنَ الَّذِينَ هَجَرُوا الْقُرْآنَ كَذَلِكَ كَانَ فِي الْأُمَمِ الْمَاضِينَ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى ضَلَالِهِمْ وَ كُفْرِهِمْ

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ112 وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ}[الأَنْعَامِ]

(وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا)يهديك فيحصل لك المطلوب و مصالح دينك و دنياك.

(وَنَصِيرٗا)ينصرك على أعدائك و يدفع عنك كل مكروه في أمر الدين و الدنيا فاكتف به و توكل عليه.

*و إِنَّمَا قَالَ: {هَادِيًا وَنَصِيرًا}لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ الْقُرْآنِ لِئَلَّا يَهْتَدِيَ أَحَدٌ بِهِ وَ لِتَغْلِبَ طَرِيقَتُهُمْ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ فَلِهَذَا قَالَ:-{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}(٣١)

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)هذا من جملة مقترحات الكفار الذى توحيه إليهم أنفسهم فقالوا:-

(لَوۡلَا)هلا(نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ)كما أنزلت الكتب قبله و أى محذور من نزوله على هذا الوجه؟

بل نزوله على هذا الوجه أكمل و أحسن

*فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا أُنْزِلَ مُنَجَّمًا فِي ثَلَاثٍ وَ عِشْرِينَ سَنَةً بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَ الْحَوَادِثِ وَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ لِتَثْبِيتِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ و لهذا قال:-

(كَذَٰلِكَ)أنزلناه متفرقا(لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ)لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة و ثباتا و خصوصا عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له:-

موقع عظيم و تثبيت كثير أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه كَمَا قَالَ:-

{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}[الإِسْرَاءِ: 106]وَ لِهَذَا قَالَ: {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا}

(وَرَتَّلۡنَٰهُ)بَيَّنَّاهُ_ فَسَّرْنَاهُ_ مهلناه و درجناك فيه(تَرۡتِيلٗا)تَبْيِينًا_ تَفْسِيرًا _تدريجا.

و هذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن و برسوله محمد ﷺ حيث جعل إنزال كتابه جاريا على أحوال الرسول و مصالحه الدينية(٣٢)

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

و لهذا قال:-(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ)

يعارضون به الحق و يدفعون به رسالتك_بِحُجَّةٍ وَ شُبْهَةٍ بِمَا يَلْتَمِسُونَ بِهِ عَيْبَ الْقُرْآنِ وَ الرَّسُولِ

(إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ)إِلَّا نَزَلَ جِبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ بِجَوَابِهِمْ_أنزلنا عليك قرآنا جامعا للحق فى معانيه و الوضوح و البيان التام فى ألفاظه

فمعانيه كلها حق و صدق لا يشوبها باطل و لا شبهة بوجه من الوجوه و ألفاظه و حدوده للأشياء أوضح ألفاظا

(وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)مبين للمعانى بيانا كاملا.

ثُمَّ فِي هَذَا اعْتِنَاءٌ كَبِيرٌ لِشَرَفِ الرَّسُولِ ﷺحَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْىُ مِنَ اللَّهِ بِالْقُرْآنِ صَبَاحًا وَ مَسَاءً لَيْلًا وَ نَهَارًا سَفَرًا وَ حَضَرًا فَكُلُّ مَرَّةٍ كَانَ يَأْتِيهِ الْمَلَكُ بِالْقُرْآنِ كَإِنْزَالِ كِتَابٍ مِمَّا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ
فَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى و أجلُّ وَ أَعْظَمُ مَكَانَةً مِنْ سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.
فَالْقُرْآنُ أشرف كتاب أنزله الله و محمد صلوات اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ وَ قَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقُرْآنِ الصِّفَتَيْنِ مَعًا فَفِى الْمَلَأِ الْأَعْلَى أُنْزِلَ جُمْلَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فى سَمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ نُزِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْأَرْضِ مُنَجَّمًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَ الْحَوَادِثِ.

و فى هذه الآية دليل على:-

1–أنه ينبغى للمتكلم فى العلم من محدث و معلم و واعظ أن يقتدي بربه فى تدبيره حال رسوله كذلك العالم يدبر أمر الخلق فكلما حدث موجب أو حصل موسم أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و المواعظ الموافقة لذلك.

2–و فيه رد على المتكلفين من الجهمية و نحوهم ممن يرى أن كثيرا من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها و لها معان غير ما يفهم منها فإذا – على قولهم– لا يكون القرآن أحسن تفسيرا من غيره و إنما التفسير الأحسن – على زعمهم– تفسيرهم الذى حرفوا له المعانى تحريفا٣٣

*يخبر تعالى عن حال المشركين الذين كذبوا رسوله و سوء مآلهم و أنهم (ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ)

*البخارى 4760 - عن أَنَس بْنُ مَالِكٍ ﷺ:-أَنَّ رَجُلًا قَالَ:-يَا نَبِيَّ اللَّهِ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ:«أَلَيْسَ الَّذِى أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»قَالَ قَتَادَةُ:- بَلَى وَ عِزَّةِ رَبِّنَا

*أشنع مرأى و أفظع منظر تسحبهم ملائكة العذاب و يجرونهم

(إِلَىٰ جَهَنَّمَ)الجامعة لكل عذاب و عقوبة(أُوْلَٰٓئِكَ)الذين بهذه الحالة(شَرّٞ مَّكَانٗا)ممن آمن بالله و صدق رسله

(وَأَضَلُّ سَبِيلٗا)و هذا من باب استعمال أفضل التفضيل فيما ليس فى الطرف الآخر منه شيء

فإن المؤمنين حسن مكانهم و مستقرهم و اهتدوا فى الدنيا إلى الصراط المستقيم و فى الآخرة إلى الوصول إلى جنات النعيم.

*أشار تعالى إلى هذه القصص و قد بسطها فى آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريبا منهم و يعرفون قصصهم بما استفاض و اشتهر عنهم34

(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا)نَبِيًّا مُوَازِرا وَ مُؤَيِّدًا وَ نَاصِرًا فَكَذَّبَهُمَا فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ فَـــ(دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا)[مُحَمَّد: 10]35

قصص بعض الانبياء مع قومهم 35-40

(فَقُلۡنَا)لهما: (ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ)أى:-إلى فرعون وقومه

(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا)

بدلائل ربوبيتنا و ألوهيتنا فذهبا إليهم فدَعَواهم إلى الإيمان بالله و طاعته و عدم الإشراك به فكذَّبوهما

(فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا)فأهلكناهم إهلاكًا عظيمًا36

(وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ)

وَ كَذَلِكَ فعلَ بِقَوْمِ نُوحٍ حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُ نُوحًاعليه السلام وَ مَنْ كَذَّبَ بِرَسُولٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ رَسُولٍ وَ رَسُولٍ وَ لَوْ فُرِضَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ كُلَّ رَسُولٍ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُكَذِّبُونَهُ وَ لِهَذَا قَالَ:-

(وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ)

وَ لَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ إِلَّا نُوحٌ فَقَطْ وَ قَدْ لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَ يُحَذِّرُهُمْ نقمه فَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ.

وَ لِهَذَا أَغْرَقَهُمُ اللهُ جَمِيعًا وَ لَمْ يَبق مِنْهُمْ أَحَدٌ وَ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ سِوَى أَصْحَابِ السَّفِينَةِ فَقَطْ.

(وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً)عِبْرَةٌ يَعْتَبِرُونَ بِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

(إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ 11 لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)[الحَاقَّة]

أَيْ:وَ أَبْقَيْنَا لَكُمْ مِنَ السُّفُنِ مَا تَرْكَبُونَ فِي لُجج الْبِحَارِ لِتَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ فِي إِنْجَائِكُمْ مِنَ الْغَرَقِ و جَعْلكم مِنْ ذُرِّيَّةِ مَن آمَنَ بِهِ و صَدّق أَمْرَهُ.

(وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ)و جعلنا لهم و لمن سلك سبيلهم فى التكذيب يوم القيامة(عَذَابًا أَلِيمًا)موجعًا37

(وَعَادًا)و أهلكنا عادًا قوم هود

(وَثَمُودَا)و أهلكنا ثمود قوم صالح و منهم من يرون آثارهم عيانا فى الحجر

(وَأَصْحَٰبَ الرَّسِّ)هُمْ أَهْلُ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى ثَمُودَ_ بِئْرٌ بِأَذْرَبَيْجَانَ_الرَّسُّ بِئْرٌ رَسوا فِيهَا نَبِيَّهَمْ. أَىْ: دَفَنُوهُ بِهَا .

(وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا)وَ أُمَمًا بَيْنَ أَضْعَافِ مَنْ ذُكر أَهْلَكْنَاهُمْ كَثِيرَةً

*وَ الْأَظْهَرُ: أَنَّ الْقَرْنَ هُمُ الْأُمَّةُ الْمُتَعَاصِرُونَ فى الزَّمَنِ الْوَاحِدِ فَإِذَا ذَهَبُوا وَ خَلَفَهُمْ جِيلٌ آخَرُ فَهُمْ قَرْنٌ ثَانٍ

كَمَا ثَبَتَ فِي البخارى 2652عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:-"خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"38

(وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَٰلَ)بَيَّنَّا لَهُمُ الْحُجَجَ و وضَّحنا لَهُمُ الْأَدِلَّةَ أَزَحْنَا عَنْهُمُ الْأَعْذَارَ

(وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا)أَهْلَكْنَا إِهْلَاكًا كَقَوْلِهِ: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ [الْإِسْرَاء: 17] 39

(وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ)أى:-قَوْمَ لُوطٍ وَ هِيَ سَدُومُ وَ مُعَامَلَتُهَا الَّتِى أَهْلَكَهَا اللَّهُ بِالْقَلْبِ

وَ بِالْمَطَرِ الْحِجَارَةِ مِنْ سِجِّيلٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى:(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ)[الشُّعَرَاء: 173]

وَ قَالَ (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ 137 وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[الصافات]و قال(وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ)[الْحِجْر:76]

وَ قَالَ(وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ)[الْحِجْر: 79](الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ)بحجارة من سجيل

(أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا)

فَيَعْتَبِرُوا بِمَا حلّ بِأَهْلِهَا مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِالرَّسُولِ وَ مُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِرَ اللَّهِ.

*يمرون عليهم مصبحين و بالليل فى أسفارهم فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم و رسلهم ليسوا خيرا من رسول هؤلاء (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ)

(بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا)و لكن الذى منع هؤلاء من الإيمان – مع ما شاهدوا من الآيات–

أنهم كانوا لا يرجون بعثا و لا نشورا فلا يرجون لقاء ربهم و لا يخشون نكاله

فلذلك استمروا على عنادهم و إلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك و لا شبهة و لا إشكال و لا ارتياب40

استهزاء المشركين بالنبى و تشبيههم بالأنعام 41-44

(وَإِذَا رَأَوْكَ)يا محمد هؤلاء المكذبون لك المعاندون لآيات الله المستكبرون فى الأرض

*يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ اسْتِهْزَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالرَّسُولِﷺإِذَا رَأَوْهُ كَمَا قَالَ:-

(وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ[الأنبياء: 36] يَعْنُونَهُ بِالْعَيْبِ وَ النَّقْصِ

(إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًا)استهزءوا بك و احتقروك و قالوا – على وجه الاحتقار و الاستصغار–

(أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا)غير مناسب و لا لائق أن يبعث الله هذا الرجل

و هذا من شدة ظلمهم و عنادهم و قلبهم الحقائق فإن كلامهم هذا يفهم أن الرسول – حاشاه– فى غاية الخسة و الحقارة و أنه لو كانت الرسالة لغيره لكان أنسب.(وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)

*كَمَا قَالَ:(وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)[الرَّعْدِ: 32]

*فهذا الكلام لا يصدر إلا من أجهل الناس و أضلهم أو من أعظمهم عنادا و هو متجاهل قصده ترويج ما معه من الباطل بالقدح بالحق و بمن جاء به و إلا فمن تدبر أحوال محمد بن عبد الله ﷺ:–

وجده رجل العالم و همامهم و مقدمهم فى العقل و العلم و اللب و الرزانة و مكارم الأخلاق و محاسن الشيم و العفة و الشجاعة و الكرم و كل خلق فاضل

و أن المحتقر له و الشانئ له قد جمع من السفه و الجهل و الضلال و التناقض و الظلم و العدوان ما لا يجمعه غيره و حسبه جهلا و ضلالا أن يقدح بهذا الرسول العظيم و الهمام الكريم.

و القصد من قدحهم فيه و استهزائهم به تصلبهم على باطلهم و غرورا لضعفاء العقول﴿٤١﴾ و لهذا قالوا:–

(إِن كَادَ)هذا الرجل(لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا)بأن يجعل الآلهة إلها واحدا

(لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا)ثَبَتْنا على عبادتها

*لأضلنا زعموا – قبحهم الله– أن الضلال هو التوحيد و أن الهدى ما هم عليه من الشرك فلهذا تواصوا بالصبر عليه. (وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) و هنا قالوا: (لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا)

*و الصبر يحمد في المواضع كلها إلا فى هذا الموضع فإنه:–

1–صبر على أسباب الغضب

2–و على الاستكثار من حطب جهنم

و أما المؤمنون فهم كما قال الله عنهم: (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

و لما كان هذا حكما منهم بأنهم المهتدون و الرسول ضال و قد تقرر أنهم لا حيلة فيهم توعدهم بالعذاب و أخبر أنهم فى ذلك الوقت(وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ)يعلمون علما حقيقيا

(مَنْ)هو (أَضَلُّ سَبِيلًا)(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) الآيات و هل فوق ضلال من جعل إلهه معبوده هواه فما هويه فعله﴿٤٢﴾ فلهذا قال:–

(أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ)

ألا تعجب من حاله و تنظر ما هو فيه من الضلال؟و هو يحكم لنفسه بالمنازل الرفيعة؟

(أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا)

لست عليه بمسيطر مسلط بل إنما أنت منذر و قد قمت بوظيفتك و حسابه على الله﴿٤٣﴾

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾
لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا
فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾
فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ)

ثم سجل تعالى على ضلالهم البليغ بأن سلبهم العقول و الأسماع

(إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ)

و شبههم فى ضلالهم بالأنعام السائمة التى لا تسمع إلا دعاء و نداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون

(بَلْ هُمْ أَضَلُّ)من الأنعام لأن الأنعام يهديها راعيها فتهتدى و تعرف طريق هلاكها فتجتنبه

و هى أيضا أسلم عاقبة من هؤلاء فتبين بهذا أن الرامى للرسول بالضلال أحق بهذا الوصف و أن كل حيوان بهيم فهو أهدى منه﴿٤٤﴾

(أَلَمْ تَرَ)تشاهد ببصرك و بصيرتك كمال(إِلَىٰ)قدرة(رَبِّكَ)و سعة رحمته

بعض مظاهر قدرة الله 45-62

(كَيْفَ مَدَّ)على العباد (الظِّلَّ)و ذلك قبل طلوع الشمس

(وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا)دائِمًا لَا يَزُولُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}[الْقَصَصِ: 71 -72]

(ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ)أى:على الظل(دَلِيلًا)فلولا وجود الشمس لما عرف الظل فإن الضد يعرف بضده﴿٤٥﴾

(ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا)سهلا و قيل سريعا و قيل خفيفا و قيل قليلا قليلا

*فكلما ارتفعت الشمس تقلص الظل شيئا فشيئا حتى يذهب بالكلية فتوالى الظل و الشمس على الخلق الذى يشاهدونه عيانا و ما يترتب على ذلك من اختلاف الليل و النهار و تعاقبهما و تعاقب الفصول و حصول المصالح الكثيرة بسبب ذلك—من أدل دليل على قدرة الله و عظمته و كمال رحمته و عنايته بعباده و أنه وحده المعبود المحمود المحبوب المعظم ذو الجلال و الإكرام﴿٤٦﴾

(وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا)كَمَا قَالَ:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}[اللَّيْلِ: 1] وَ قَالَ{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}[الشَّمْسِ: 4]

*أى:—من رحمته بكم و لطفه أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغشاكم

(و)جعل(وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا)راحة لأبدانكم حتى تستقروا فى الليل و تهدؤوا بالنوم و تسبت حركاتكم

أى: تنقطع عند النوم فلولا الليل لما سكن العباد و لا استمروا فى تصرفهم فضرهم ذلك غاية الضرر و لو استمر أيضا الظلام لتعطلت عليهم معايشهم و مصالحهم

(وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا)ينتشرون فيه لتجاراتهم و أسفارهم و أعمالهم فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح.

*يَنْتَشِرُ الناسُ فِيهِ لِمَعَايِشِهِمْ وَ مَكَاسِبِهِمْ وَ أَسْبَابِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[الْقَصَصِ: 73] ﴿٤٧﴾

(وَهُوَ ٱلَّذِىٓ)هو وحده الذى رحم عباده و أدر عليهم رزقه

بأن(أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا)مبشرات(بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ)و هو المطر فثار بها السحاب و تألف و صار كسفا و ألقحته و أدرته بإذن آمرها و المتصرف فيها ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله و ليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة.

(وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا)آلَةً يُتَطَهَّرُ بِهَا كَالسَّحُور وَ الْوَقُودِ وَ مَا جَرَى مَجْرَاهُ.فَهَذَا أَصَحُّ مَا يُقَالُ فِي ذَلِكَ

*يطهر من الحدث و الخبث و يطهر من الغش و الأدناس و فيه بركة من بركته أنه أنزله ﴿٤٨﴾

(لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا)فتختلف أصناف النوابت و الأشجار فيها مما يأكل الناس و الأنعام.

*أَرْضًا قَدْ طَالَ انْتِظَارُهَا لِلْغَيْثِ فَهِيَ هَامِدَةٌ لَا نَبَاتَ فِيهَا وَ لَا شَيْءَ فَلَمَّا جَاءَهَا الْحَيَا عَاشَتْ وَ اكْتَسَتْ رُبَاهَا أَنْوَاعُ الْأَزَاهِيرِ وَ الْأَلْوَانِ كَمَا قَالَ{فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[الْحَجِّ: 5]

(وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ)مِن خَلْقِنا(أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا)أى: نسقيكموه أنتم و أنعامكم

أليس الذى أرسل الرياح المبشرات و جعلها فى عملها متنوعات و أنزل من السماء ماء طهورا مباركا فيه رزق العباد و رزق بهائمهم هو الذى يستحق أن يعبد وحده و لا يشرك معه غيره؟ ﴿٤٩﴾

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ)

أَمْطَرْنَا هَذِهِ الْأَرْضَ دُونَ هَذِهِوَ سُقْنَا السَّحَابَ فَمَرَّ عَلَى الْأَرْضِ وَ تَعَدَّاهَا وَ جَاوَزَهَا إلى الأرض الأخرى فأمطرتها و كفتها فجعلتها عذقا وَ الَّتِى وَرَاءَهَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهَا قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ وَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ

وَ الْحِكْمَةُ القاطعة.

(لِيَذَّكَّرُواْ)ليذكر الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم:- فيشكروا له و ليذكر الذين مُنعوا منه فيسارعوا بالتوبة إلى الله ليرحمهم و يسقيهم

*و لما ذكر تعالى هذه الآيات العيانية المشاهدة و صرفها للعباد ليعرفوه و يشكروه و يذكروه

(فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)لفساد أخلاقهم و طبائعهم.

*قَالَ عِكْرِمَةُ: يَعْنِى: الَّذِينَ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بنوء كَذَا وَ كَذَا.

*البخارى 846 - عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ:-

صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺصَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:-أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِى مُؤْمِنٌ بِي وَ كَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ:مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَ كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ وَ أَمَّا مَنْ قَالَ:-بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَ مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ"(٥٠)

(وَلَوۡ شِئۡنَا)يخبر تعالى عن نفوذ مشيئته و أنه لو شاء

(لَبَعَثۡنَا فِى كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرًا)أى: رسولا ينذرهم و يحذرهم فمشيئته غير قاصرة عن ذلك

و لكن اقتضت حكمته و رحمته بك و بالعباد—يا محمد—أن أرسلك إلى جميعهم أحمرهم و أسودهم عربيهم و عجميهم إنسهم و جنهم.

*يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَكِنَّا خَصَصْنَاكَ -يَا مُحَمَّدُ -بِالْبِعْثَةِ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَ أَمَرْنَاكَ أَنَّ تُبَلِّغَ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنُ {لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}[الأَنْعَام: 19]{وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُمَوْعِدُهُ} [هُود: 17] {وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأَنْعَام: 92]{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأَعْرَاف: 158]

وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَ الْأَسْوَدِ"

وَ فِيهِمَا: "وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"(٥١)وَ لِهَذَا قَالَ:-

(فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ)فى ترك شيء مما أرسلت به بل ابذل جهدك فى تبليغ ما أرسلت به.

(وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ)بالقرآن(جِهَادًا كَبِيرًا)أى:—لا تبق من مجهودك فى نصر الحق و قمع الباطل إلا بذلته و لو رأيت منهم من التكذيب و الجراءة ما رأيت فابذل جهدك و استفرغ وسعك و لا تيأس من هدايتهم و لا تترك إبلاغهم لأهوائهم. كَمَا قَالَ{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التَّوْبَة: 73التَّحْرِيم: 9](٥٢)

(وَهُوَ)وحده(ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ)يلتقيان(هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ)السائغ الشراب

البحر العذب:—و هى الأنهار السارحة على وجه الأرض فَالْحُلْوُ كَالْأَنْهَارِ وَ الْعُيُونِ وَ الْآبَارِ

*وَ اللَّهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ بِالْوَاقِعِ لِيُنَبِّهَ الْعِبَادَ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ لِيَشْكُرُوهُ فَالْبَحْرُ الْعَذْبُ هُوَ هَذَا السَّارِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَرَّقَهُ تَعَالَى بَيْنَ خَلْقِهِ لِاحْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ أَنْهَارًا وَ عُيُونًا فِي كُلِّ أَرْضٍ بِحَسَبِ حَاجَتِهِمْ وَ كِفَايَتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَ أَرَاضِيهِمْ.

(وَهَٰذَا مِلۡحٌ)مَالِحٌ مُرٌّ زُعَاقٌ(أُجَاجٌ)لَا يُسْتَسَاغُ شدة ملوحته
فالْبِحَارِ السَّاكِنَة خَلَقَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعالَى مَالِحَةَ الْمَاءِ لِئَلَّا يَحْصُلَ بِسَبَبِهَا نَتَنُ الْهَوَاءِ فَيَفْسَدُ الْوُجُودُ بِذَلِكَ وَ لِئَلَّا تَجْوَى الْأَرْضُ بِمَا يَمُوتُ فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ.
وَ لَمَّا كَانَ مَاؤُهَا مِلْحًا كَانَ هَوَاؤُهَا صَحِيحًا وَمَيْتَتُهَا طَيِّبَةً وَ لِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺو قد سُئِلَ عَنْ مَاءِ الْبَحْرِ:-أَنَتَوَضَّأُ بِهِ؟ فَقَالَ:-"هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ".

*و جعل منفعة كل واحد منهما مصلحة للعباد(وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا)بين العذب و المالح

(بَرۡزَخٗا)حاجزا يحجز من اختلاط أحدهما بالآخر فتذهب المنفعة المقصودة منها

(وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا)حاجزا حصينا كَمَا قَالَ:{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ 19 بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ20* فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[الرَّحْمَٰنِ] وَ قَالَ{أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[النَّمْلِ: 61]٥٣

(وَهُوَ)الله وحده لا شريك له(ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا)الآدمى من ماء مهين

(فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا)ذوى نسب ينسب إليهم و هم الذكور

(وَصِهۡرٗاۗ)و ذوات صهر يصاهر بهن و هن الإناث.

ثم نشر منه ذرية كثيرة و جعلهم أنسابا و أصهارا متفرقين و مجتمعين و المادة كلها من ذلك الماء المهين
*فَهُوَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ وَلَدٌ نَسِيبٌ ثُمَّ يَتَزَوَّجُ فَيَصِيرُ صِهْرًا ثُمَّ يَصِيرُ لَهُ أَصْهَارٌ وَ أُخْتَانٌ وَ قَرَابَاتٌ.

وَ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فهذا يدل على كمال اقتداره لقوله:—(وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا) ٥٤

و يدل على أن عبادته هي الحق و عبادة غيره باطلة لقوله:—

(وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)أصناما و أمواتا

(مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ)و يجعلونها أندادا لمالك النفع و الضرر و العطاء و المنع مع أن الواجب عليهم أن يكونوا مقتدين بإرشادات ربهم ذابين عن دينه و لكنهم عكسوا القضية.

(وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا)عونًا و مواليا للشيطان على ربه بالشرك فى عبادة الله مُظَاهِرًا له على معصيته.
*عَوْنًا فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ عَلَى حِزْبِ اللَّهِ_يُظَاهِرُ الشَّيْطَانَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ يُعِينُهُ_
عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى رَبِّهِ بِالْعَدَاوَةِ وَ الشِّرْكِ.
*فالباطل الذى هو الأوثان و الأنداد أعداء لله فالكافر عاونها و ظاهرها على ربها و صار عدوا لربه مبارزا له فى العداوة و الحرب هذا و هو الذى خلقه و رزقه و أنعم عليه بالنعم الظاهرة و الباطنة
و ليس يخرج عن ملكه و سلطانه و قبضته و الله لم يقطع عنه إحسانه و بره و هو – بجهله– مستمر على هذه المعاداة و المبارزة٥٥

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا)يخبر تعالى: أنه ما أرسل رسوله محمدا ﷺمسيطرا على الخلق و لا جعله ملكا

و لا عنده خزائن الأشياء و إنما أرسله(مُبَشِّرٗا)يبشر من أطاع الله بالثواب العاجل و الآجل

(وَنَذِيرٗا)ينذر من عصى الله بالعقاب العاجل و الآجل

و ذلك مستلزم لتبيين ما به البشارة و ما تحصل به النذارة من الأوامر و النواهى﴿٥٦﴾

(قُلۡ)يا محمد(مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ)على إبلاغهم القرآن و الهدى

(مِنۡ أَجۡرٍ)حتى يمنعهم ذلك من اتباعك و يتكلفون من الغرامة

(إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا)لينفق نفقة فى مرضاة ربه و سبيله فهذا و إن رغبتكم فيه فلست أجبركم عليه و ليس أيضا أجرا لى عليكم و إنما هو راجع لمصلحتكم و سلوككم للسبيل الموصلة إلى ربكم ﴿٥٧﴾

ثم أمره أن يتوكل عليه و يستعين به فقال:-(وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ)الذى له الحياة الكاملة المطلقة

(ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ)أى: اعبده و توكل عليه في الأمور المتعلقة بك و المتعلقة بالخلق

*اقْرِنْ بَيْنَ حَمْدِهِ وَ تَسْبِيحِهِ وَ لِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:-"سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنا وَ بِحَمْدِكَ"أَيْ:- أَخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ وَ التَّوَكُّلَ كَمَا قَالَ{رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا} [الْمُزَّمِّلِ: 9]

(وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا)يعلمها و يجازى عليها.

فأنت ليس عليك من هداهم شىء و ليس عليك حفظ أعمالهم و إنما ذلك كله بيد الله﴿٥٨﴾

(ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ)علا بعد ذلك

(عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ)الذى هو سقف المخلوقات و أعلاها و أوسعها و أجملها

(ٱلرَّحۡمَٰنُ)استوى على عرشه الذى وسع السماوات و الأرض باسمه الرحمن الذى وسعت رحمته كل شيء فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات.

فأثبت بهذه الآية خلقه للمخلوقات و اطلاعه على ظاهرهم و باطنهم و علوه فوق العرش و مباينته إياهم.

(فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا)يعنى بذلك نفسه الكريمة فهو الذى يعلم أوصافه و عظمته و جلاله و لا أحد من البشر أعلم بالله و لا أخبر به من عبده و رسوله محمد ﷺ

و قد أخبركم بذلك و أبان لكم من عظمته ما تستعدون به من معرفته فعرفه العارفون و خضعوا لجلاله و استكبر عن عبادته الكافرون و استنكفوا عن ذلك﴿٥٩﴾و لهذا قال:-

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ)وحده الذى أنعم عليكم بسائر النعم و دفع عنكم جميع النقم.

(قَالُواْ)جحدا و كفرا

(وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ)بزعمهم الفاسد أنهم لا يعرفون الرحمن و جعلوا من جملة قوادحهم فى الرسول أن قالوا: – ينهانا عن اتخاذ آلهة مع الله و هو يدعو معه إلها آخر يقول:–«يا رحمن» و نحو ذلك كما قال تعالى:–

(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)

فأسماؤه تعالى كثيرة لكثرة أوصافه و تعدد كماله فكل واحد منها دل على صفة كمال.

*و كَانُوا يُنْكِرُونَ أَنْ يُسَمّى اللَّهُ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنِ كَمَا أَنْكَرُوا ذَلِكَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺلِلْكَاتِبِ: "اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فَقَالُوا: لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ وَ لَا الرَّحِيمَ
وَ لَكِنِ اكْتُبْ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ وَ لِهَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ:-
{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[الإسراء: 110]أَيْ: هُوَ اللَّهُ وَ هُوَ الرَّحْمَنُ.

(أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا)أى: لمجرد أمرك إيانا.و هذا مبنى منهم على التكذيب بالرسول و استكبارهم عن طاعته

(وَزَادَهُمۡ)دعوتهم إلى السجود للرحمن

(نُفُورًا)هربا من الحق إلى الباطل و زيادة كفر و شقاء.

*أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ الَّذِي هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ و يُفْرِدُونه بِالْإِلَهِيَّةِ وَيَسْجُدُونَ لَهُ.
وَ قَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ -عَلَى أَنَّ هَذِهِ السَّجْدَةَ الَّتِى فِي الْفُرْقَانِ مَشْرُوعٌ السجودُ عِنْدَهَا لِقَارِئِهَا وَ مُسْتَمِعِهَا كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ﴿٦٠﴾

*كرر تعالى فى هذه السورة الكريمة قوله:–

(تَبَارَكَ)ثلاث مرات لأن معناها كما تقدم أنها تدل على عظمة البارى و كثرة أوصافه و كثرة خيراته و إحسانه.

و هذه السورة فيها من:-

1-الاستدلال على عظمته و سعة سلطانه و نفوذ مشيئته و عموم علمه و قدرته

2-و إحاطة ملكه فى الأحكام الأمرية و الأحكام الجزائية و كمال حكمته.

3-و فيها ما يدل على سعة رحمته و واسع جوده و كثرة خيراته الدينية و الدنيوية ما هو مقتض لتكرار هذا الوصف الحسن فقال:-

(تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا)و هى النجوم عمومها أو منازل الشمس و القمر التى تنزلها منزلة منزلة و هي بمنزلة البروج و القلاع للمدن فى حفظها كذلك النجوم بمنزلة البروج المجعولة للحراسة فإنها رجوم للشياطين.

(وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا)فيه النور و الحرارة و هو الشمس كَمَا قَالَ: {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا} [النَّبَأ: 13]

(وَقَمَرًا مُّنِيرًا)فيه النور لا الحرارة مُضِيئًا مُشْرِقًا بِنُورٍ آخَرَ وَ نَوْعٍ وَ فَنٍّ آخَرَ غَيْرِ نُورِ الشَّمْسِ كَمَا قَالَ:-

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا} [يُونُس: 5] وَ قَالَ مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ:

{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا15 وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح]

*و هذا من أدلة عظمته و كثرة إحسانه فإن ما فيها من الخلق الباهر و التدبير المنتظم و الجمال العظيم دال على عظمة خالقها في أوصافه كلها و ما فيها من المصالح للخلق و المنافع دليل على كثرة خيراته ﴿٦١﴾

(وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً)أى: يذهب أحدهما فيخلفه الآخر هكذا أبدا لا يجتمعان و لا يرتفعان

*وَ قَالَ{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ} [الْأَعْرَاف: 54]

(لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ)بهما و يعتبر و يستدل بهما على كثير من المطالب الإلهية

(أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)لمن اراد أن يشكر الله على ذلك و لمن أراد أن يذكر الله و يشكره و له ورد من الليل أو النهار فمن فاته ورده من أحدهما أدركه فى الآخر و أيضا فإن القلوب تتقلب و تنتقل فى ساعات الليل و النهار فيحدث لها النشاط و الكسل و الذكر و الغفلة و القبض و البسط و الإقبال و الإعراض

فجعل الله الليل و النهار يتوالى على العباد و يتكرران ليحدث لهم الذكر و النشاط و الشكر لله فى وقت آخر و لأن أوراد العبادات تتكرر بتكرر الليل و النهار

فكما تكررت الأوقات أحدث للعبد همة غير همته التى كسلت فى الوقت المتقدم فزاد فى تذكرها و شكرها

فوظائف الطاعات بمنزلة سقى الإيمان الذى يمده فلولا ذلك لذوى غرس الإيمان و يبس.

فلله أتم حمد و أكمله على ذلك.

*مسلم(2759) عَنْ أَبِي مُوسَى﵁عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»﴿٦٢﴾

*ثم ذكر من جملة كثرة خيره منته على عباده الصالحين و توفيقهم للأعمال الصالحات التى أكسبتهم المنازل العاليات فى غرف الجنات فقال:–

صفات عباد الرحمن 63-77

(وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ)العبودية لله نوعان:–

1–عبودية لربوبيته فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم و كافرهم برهم و فاجرهم فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)

2–و عبودية لألوهيته و عبادته و رحمته:–و هى عبودية أنبيائه و أوليائه و هى المراد هنا

و لهذا أضافها إلى اسمه « الرحمن » إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت فوصفهم بأنهم:–

(ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا)

أى: ساكنين متواضعين لله و الخلق فهذا وصف لهم بالوقار و السكينة و التواضع لله و لعباده.

*بِسَكِينَةٍ وَ وَقَارٍ مِنْ غَيْرِ جَبَرية وَ لَا اسْتِكْبَارٍ كَمَا قَالَ:

{وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا} [الإسراء: 37]

فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ يَمْشُونَ مِنْ غَيْرِ اسْتِكْبَارٍ وَ لَا مرح و لا أشر و لا بطر وَ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَمْشُونَ كَالْمَرْضَى مِنَ التَّصَانُعِ تَصَنُّعًا وَ رِيَاءً وَ إِنَّمَا الْمُرَادُ بِالهَوْن هَاهُنَا السَّكِينَةُ وَ الْوَقَارُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

*البخارى 635 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:-

بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺإِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ(صوت الحركة والكلام والاستعجال)رِجَالٍ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ:-«مَا شَأْنُكُمْ؟» قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ؟قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ(الهدوء والتأني في الحركة) فَمَا أَدْرَكْتُمْ(من الصلاة مع الإمام) فَصَلُّوا وَ مَا فَاتَكُمْ(من الصلاة مع الإمام) فَأَتِمُّوا(أكملوه)»

(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ)أى: خطاب جهل بدليل إضافة الفعل و إسناده لهذا الوصف

(قَالُوا۟ سَلَٰمًا)سدادا_رَدُّوا مَعْرُوفًا مِنَ الْقَوْلِ_حُلَمَاءُ لَا يَجْهَلُونَ وَ إِنْ جُهِلَ عَلَيْهِمْ حَلُمُوا. يُصَاحِبُونَ عِبَادَ اللَّهِ نَهَارَهُمْ بِمَا تَسْمَعُونَ .

*أى: خاطبوهم خطابا يسلمون فيه من الإثم و يسلمون من مقابلة الجاهل بجهله.

و هذا مدح لهم بالحلم الكثير و مقابلة المسىء بالإحسان و العفو عن الجاهل و رزانة العقل الذى أوصلهم إلى هذه الحال.

*إِذَا سَفِه عَلَيْهِمُ الْجُهَّالُ بِالسَّيِّئِ لَمْ يُقَابِلُوهُمْ عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ بَلْ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ وَ لَا يَقُولُونَ إِلَّا خَيْرًا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ}[القَصَص: 55] ﴿٦٣﴾

(وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا)أى: يكثرون من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم متذللين له كما قال:

{كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ17وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}[الذَّارِيَات] وَ قَالَ {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[السَّجْدَة: 16] وَ قَالَ{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} الْآيَةَ [الزُّمَر: 9]وَ لِهَذَا قَالَ:-{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا}أَىْ: مُلَازِمًا دَائِمًا﴿٦٤﴾

فأين القرآن إذًا ؟

وها هوَ الإمامُ أحمدُ –عليه رحمةُ الله– في مجلسه وبين تلاميذه؛ ويأتي سفيه من السفهاء فيسبُه ويشتُمه ويُقْذِعُهُ بالسَّبِّ والشتم، فيقولُ له طلابُه وتلاميذُه: يا أبا عبد الله؛ رُدَّ على هذا السفيه، قال: لا والله؛ فأينَ القرآنُ إذًا!؟ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان: ٦٣

هكذا علمتني الحياة

كان بإمكانه رحمه الله أن يرد عليه وما مَنَعَ طلابه الانبراء له برد هو ما اعتادوا عليه من علمهم السابق بمنهج الشيخ رحمه الله في عدم مماراة هذا الصنف من الناس امتثالاً لهذه الآية العظيمة!.

(وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ)ادفع(عَنَّا)بالعصمة من أسبابه و مغفرة ما وقع منا

(عَذَابَ جَهَنَّمَ)مما هو مقتض للعذاب(إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)ملازما لأهلها بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه﴿٦٥﴾

(إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا)بِئْسَ الْمَنْزِلُ مَنْظَرًا (وَمُقَامًا)وَ بِئْسَ الْمَقِيلُ مَقَامًا.

*و هذا منهم على وجه التضرع لربهم و بيان شدة حاجتهم إليه و أنهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب و ليتذكروا منة الله عليهم فإن صرف الشدة بحسب شدتها و فظاعتها يعظم وقعها و يشتد الفرح بصرفها﴿٦٦﴾

(وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟)النفقات الواجبة و المستحبة

(لَمْ يُسْرِفُوا۟)بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا فى قسم التبذير و إهمال الحقوق الواجبة

(وَلَمْ يَقْتُرُوا۟)فيدخلوا فى باب البخل و الشح(وَكَانَ)إنفاقهم (بَيْنَ ذَٰلِكَ)بين الإسراف و التقتير

(قَوَامًا)يبذلون فى الواجبات من الزكوات و الكفارات و النفقات الواجبة و فيما ينبغى على الوجه الذى ينبغى من غير ضرر و لا ضرار و هذا من عدلهم و اقتصادهم.

*كَمَا قَالَ: {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإِسْرَاء: 29] ﴿٦٧﴾

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾

(وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ)

بل يعبدونه وحده مخلصين له الدين حنفاء مقبلين عليه معرضين عما سواه

(وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ)و هى نفس المسلم و الكافر المعاهد

(إِلَّا بِٱلۡحَقِّ)كقتل النفس بالنفس و قتل الزانى المحصن و الكافر الذى يحل قتله.

(وَلَا يَزۡنُونَۚ)بل يحفظون فروجهم(إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

*الصحيح المسند من أسباب النزول:البخارى4761-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺقَالَ:-سَأَلْتُ - أَوْ سُئِلَ-رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟
قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»
قَالَ:وَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:-
{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ} [الفرقان: 68]

(وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ)أى:—الشرك بالله أو قتل النفس التى حرم الله بغير حق أو الزنا

فسوف(يَلۡقَ أَثَامٗا)عقوبة على فعله﴿٦٨﴾ثم فسره بقوله:—

(يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ)أى:—فى العذاب (مُهَانًا)ذليلا حقيراً

*فالوعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه و كذا لمن أشرك بالله و كذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة لكونها:—إما شرك و إما من أكبر الكبائر.

و أما خلود القاتل و الزانى فى العذاب فإنه لا يتناوله الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية و السنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار و لا يخلد فيها مؤمن و لو فعل من المعاصى ما فعل

و نص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر:–

فالشرك فيه فساد الأديان و القتل فيه فساد الأبدان و الزنا فيه فساد الأعراض﴿٦٩﴾

(إِلَّا مَن تَابَ)عن هذه المعاصى و غيرها بأن أقلع عنها فى الحال و ندم على ما مضى له من فعلها و عزم عزما جازما أن لا يعود

(وَءَامَنَ)بالله إيمانا صحيحا يقتضى ترك المعاصى و فعل الطاعات

(وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا)مما أمر به الشارع إذا قصد به وجه الله.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:البخارى 3855 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ﵁ قَالَ:-
أَمَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى قَالَ:-سَلْ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مَا أَمْرُهُمَا-
{وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ} [الأنعام: 151]{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا} [النساء: 93]فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ:
لَمَّا أُنْزِلَتِ الَّتِى فِي الفُرْقَانِ قَالَ: مُشْرِكُو أَهْلِ مَكَّةَ:-فَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ و دَعَوْنَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ قَدْ أَتَيْنَا الفَوَاحِشَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:-{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ}[مريم: 60]الآيَةَفَهَذِهِ لِأُولَئِكَ(أى نزلت فى حق المشركين وجوابا لهم وبيانا أن الإسلام يسقط ما قبله من ذنب)و أَمَّا الَّتِى فِي النِّسَاءِ:-
(وهي بتمامها {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما}[النساء 93])
(متعمدت:- قاصدا قتله بغير حق -خالدا فيها :-لا يخرج منها إن استحل قتله ويبقى فيها طويلا إن اعتقد حرمته))(لعنه:- أبعده من رحمته ودخول جنته)
الرَّجُلُ إِذَا عَرَفَ الإِسْلاَمَ(أى أسلم وعرف حرمة قتل النفس فى الإسلام)وَ شَرَائِعَهُ ثُمَّ قَتَلَ فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ فَذَكَرْتُهُ لِمُجَاهِدٍ فَقَالَ:-
«إِلَّا مَنْ نَدِمَ(أى فلا يخلد في النار إن عذب فيها)»

(فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ)

أى:–تتبدل أفعالهم و أقوالهم التى كانت مستعدة لعمل السيئات تتبدل حسنات فيتبدل:–

شركهم إيمانا و معصيتهم طاعة و تتبدل نفس السيئات التى عملوها ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة و إنابة و طاعة تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية.

و ورد فى ذلك حديث الرجل الذى حاسبه الله ببعض ذنوبه فعددها عليه ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال:–

يا رب إن لى سيئات لا أراها هاهنا و الله أعلم.

*فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: {يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} قَوْلَانِ:-
1-أَنَّهُمْ بُدِّلُوا مَكَانَ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ بِعَمَلِ الْحَسَنَاتِ.
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ:-قَالَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ كَانُوا مِنْ قَبْلِ إِيمَانِهِمْ عَلَى السَّيِّئَاتِ فَرَغِبَ اللَّهُ بِهِمْ عَنْ ذَلِكَ فحوَّلهم إِلَى الْحَسَنَاتِ فَأَبْدَلَهُمْ مَكَانَ السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ.
*أَبْدَلَهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ عِبَادَةَ اللَّهِ وَ أَبْدَلَهُمْ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا مَعَ الْمُسْلِمِينَ لِلْمُشْرِكِينَ وَ أَبْدَلَهُمْ بِنِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ نِكَاحَ الْمُؤْمِنَاتِ.

2-أَنَّ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ الْمَاضِيَةَ تَنْقَلِبُ بِنَفْسِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ حَسَنَاتٍ وَ مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ مَا مَضَى نَدِمَ وَ اسْتَرْجَعَ وَ اسْتَغْفَرَ فَيَنْقَلِبُ الذَّنْبُ طَاعَةً بِهَذَا الِاعْتِبَارِ.

فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ إِنْ وَجَدَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ لَكِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ وَ يَنْقَلِبُ حَسَنَةً فِي صَحِيفَتِهِ كَمَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ وَ صَحَّتْ بِهِ الْآثَارُ الْمَرْوِيَّةُ عَنِ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى-وَ هَذَا سِيَاقُ الْحَدِيثِ

*مسلم-190- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-

"إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ وَ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَ ارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ فَيُقَالُ:--

عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ:-

نَعَمْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَ هُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لَهُ:-

فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا "

فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا)لمن تاب يغفر الذنوب العظيمة

(رَّحِيمًا)بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بالعظائم ثم وفقهم لها ثم قبلها منهم﴿٧٠﴾

(وَمَن تَابَ)عمَّا ارتكب من الذنوب(وَعَمِلَ)عملا (صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا)

فإنه بذلك يرجع إلى الله رجوعًا صحيحًا فيقبل الله توبته و يكفر ذنوبه.

*أى: فليعلم أن توبته فى غاية الكمال لأنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله الذي هو عين سعادة العبد و فلاحه فليخلص فيها و ليخلصها من شوائب الأغراض الفاسدة فالمقصود من هذا:–

الحث على تكميل التوبة و إيقاعها على أفضل الوجوه و أجلها ليقدم على من تاب إليه فيوفيه أجره بحسب كمالها﴿٧١﴾

(وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ)يحضرون(ٱلزُّورَ)القول و الفعل المحرم

فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على:–الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة

كالخوض فى آيات الله و الجدال الباطل و الغيبة و النميمة و السب و القذف و الاستهزاء و الغناء المحرم

و شرب الخمر و فرش الحرير و الصور و نحو ذلك

*و إذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى و أحرى:–أن لا يقولوه و يفعلوه.

و شهادة الزور داخلة فى قول الزور تدخل في هذه الآية بالأولوية

*البخارى 2654 - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ:-

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ(أخبركم)بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ(أشنعها أكثرها إثما)»؟ ثَلَاثًا قَالُوا:-بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:-

«الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ–وَ جَلَسَ وَ كَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ-أَلَا وَ قَوْلُ الزُّورِ»قَالَ:-

فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

(وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ)و هو الكلام الذى لا خير فيه و لا فيه فائدة دينية و لا دنيوية ككلام السفهاء و نحوهم

* إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره و لا سماعه و لكن عند المصادفة التى من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه

(مَرُّواْ كِرَامًا)أى: نزهوا أنفسهم و أكرموها عن الخوض فيه

و رأوا أن الخوض فيه و إن كان لا إثم فيه فإنه سفه و نقص للإنسانية و المروءة فربأوا بأنفسهم عنه﴿٧٢﴾

(وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ)التى أمرهم باستماعها و الاهتداء بها

(لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا)أى لم يقابلوها بالإعراض عنها و الصمم عن سماعها و صرف النظر و القلوب

عنها كما يفعله من لم يؤمن بها و لم يصدق و إنما حالهم فيها و عند سماعها كما قال تعالى:-

{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ}

يقابلونها بالقبول و الافتقار إليها و الانقياد و التسليم لها و تجد عندهم آذانا سامعة و قلوبا واعية فيزداد بها

إيمانهم و يتم بها إيقانهم و تحدث لهم نشاطا و يفرحون بها سرورا و اغتباطا. .

*هَذِهِ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[الْأَنْفَالِ:2] بِخِلَافِ الْكَافِرِ فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ وَ لَا يُقْصِر عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ بَلْ يَبْقَى مُسْتَمِرًّا عَلَى كُفْرِهِ وَ طُغْيَانِهِ وَ جَهْلِهِ وَ ضَلَالِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ124 وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ}[التَّوْبَة] ﴿٧٣﴾

(وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ)في دعائهم (رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا)أى:-قرنائنا من أصحاب و أقران و زوجات

(وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ)أى: تقر بهم أعيننا.

و إذا استقرأنا حالهم و صفاتهم عرفنا من هممهم و علو مرتبتهم أنهم:-لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم عالمين عاملين

كما أنه دعاء لأزواجهم و ذرياتهم فى صلاحهم فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم و لهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا:-(هَبۡ لَنَا)بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن بصلاح من ذكر يكون سببا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم و ينتفع بهم.

(وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا)أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِنَا فِي الْخَيْرِ.

وَ قَالَ غَيْرُهُمْ: هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَ دُعَاةً إِلَى الْخَيْرِ فَأَحَبُّوا أَنْ تَكُونَ عِبَادَتَهُمْ مُتَّصِلَةً بِعِبَادَةِ أَوْلَادِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ أَنْ يَكُونَ هُدَاهُمْ مُتَعَدِّيًا إِلَى غَيْرِهِمْ بِالنَّفْعِ وَ ذَلِكَ أَكْثَرُ ثَوَابًا وَ أَحْسَنُ مَآبًا

*أى: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية درجة:-

الصديقين و الكمل من عباد الله الصالحين و هى درجة الإمامة فى الدين و أن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم و أفعالهم يقتدى بأفعالهم و يطمئن لأقوالهم و يسير أهل الخير خلفهم فيهدون و يهتدون.

و من المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به و هذه الدرجة –درجة الإمامة فى الدين–لا تتم إلا بالصبر و اليقين كما قال تعالى:–(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)

فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال و الصبر:–

1–على طاعة الله 2–و عن معصيته 3–و أقداره المؤلمة

و من العلم التام الذى يوصل صاحبه إلى درجة اليقين خيرا كثيرا و عطاء جزيلا و أن يكونوا فى أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل.

*مسلم (1631) عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ‌رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:-"إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ:-
إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "

(قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا فى هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهى الوقف])(٧٤)

*و لهذا لما كانت هممهم و مطالبهم عالية كان الجزاء من جنس العمل فجازاهم بالمنازل العاليات فقال:–

(أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ)أى: المنازل الرفيعة و المساكن الأنيقة الجامعة لكل ما يشتهى و تلذه الأعين و ذلك بسبب صبرهم نالوا ما نالوا كما قال تعالى:–

(وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)

*أحمد 6615 - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو‌رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:-
"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَ بَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا "فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ‌رضي الله عنه:-
لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:-لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ وَ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَ بَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا و النَّاسُ نِيَامٌ "و لهذا قال هنا

(وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا)من ربهم و من ملائكته الكرام و من بعض على بعض و يسلمون من جميع المنغصات و المكدرات(٧٥)

(خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ)مُقِيمِينَ لَا يَظْعَنُونَ وَ لَا يَحُولون وَ لَا يَمُوتُونَ وَ لَا يَزُولُونَ عَنْهَا وَ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[هود: 108]

(حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا)حسنت منظرا و طابت مَقيلا و منزلا. و الحاصل: أن الله وصفهم بـــــ:–

1–الوقار و السكينة و التواضع له و لعباده

2–و حسن الأدب و الحلم و سعة الخلق

3–و العفو عن الجاهلين و الإعراض عنهم

4–و مقابلة إساءتهم بالإحسان و قيام الليل و الإخلاص فيه

5–و الخوف من النار و التضرع لربهم أن ينجيهم منها

6–و إخراج الواجب و المستحب فى النفقات و الاقتصاد فى ذلك –

و إذا كانوا مقتصدين فى الإنفاق الذى جرت العادة بالتفريط فيه أو الإفراط فاقتصادهم و توسطهم فى غيره من باب أولى–

7–و السلامة من كبائر الذنوب

8–و الاتصاف بالإخلاص لله في عبادته

9–و العفة عن الدماء و الأعراض

10–و التوبة عند صدور شيء من ذلك

11–و أنهم لا يحضرون مجالس المنكر و الفسوق القولية و الفعلية و لا يفعلونها بأنفسهم

12–و أنهم يتنزهون من اللغو و الأفعال الردية التي لا خير فيها

13–و ذلك يستلزم مروءتهم و إنسانيتهم و كمالهم و رفعة أنفسهم عن كل خسيس قولي و فعلي

14–و أنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها و التفهم لمعانيها و العمل بها و الاجتهاد في تنفيذ أحكامها

15–و أنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء فى الدعاء الذى ينتفعون به و ينتفع به من يتعلق بهم وينتفع به المسلمون من صلاح أزواجهم و ذريتهم

و من لوازم ذلك سعيهم فى تعليمهم و وعظهم و نصحهم لأن من حرص على شيء و دعا الله فيه لا بد أن يكون متسببا فيه و أنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات الممكنة لهم و هى درجة الإمامة و الصديقية.

فلله ما أعلى هذه الصفات وأرفع هذه الهمم و أجل هذه المطالب و أزكى تلك النفوس و أطهر تلك القلوب و أصفى هؤلاء الصفوة و أتقى هؤلاء السادة و لله فضل الله عليهم و نعمته و رحمته التي جللتهم و لطفه الذى أوصلهم إلى هذه المنازل.

و لله منة الله على عباده أن بين لهم أوصافهم و نعت لهم هيئاتهم و بين لهم هممهم و أوضح لهم أجورهم ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافهم و يبذلوا جهدهم فى ذلك و يسألوا الذى من عليهم و أكرمهم الذى فضله فى كل زمان و مكان و فى كل وقت و أوان أن يهديهم كما هداهم و يتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم.

فاللهم لك الحمد و إليك المشتكى وأنت المستعان و بك المستغاث و لا حول و لا قوة إلا بك

لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا فإنا ضعفاء عاجزون من كل وجه. نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين وكلتنا إلى ضعف و عجز و خطيئة فلا نثق يا ربنا إلا برحمتك التى بها خلقتنا و رزقتنا و أنعمت علينا بما أنعمت من النعم الظاهرة و الباطنة

و صرفت عنا من النقم فارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك فلا خاب من سألك و رجاك ﴿٧٦﴾

*و لما كان الله تعالى قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته و اختصهم بعبوديته لشرفهم و فضلهم ربما توهم متوهم أنه و أيضا غيرهم فلم لا يدخل فى العبودية؟ فأخبر تعالى أنه لا يبالى و لا يعبأ بغير هؤلاء

و أنه لولا دعاؤكم إياه:- 1-دعاء العبادة 2-و دعاء المسألة ما عبأ بكم و لا أحبكم فقال:-

(قُلْ مَا يَعْبَؤُا)يُبَالِي وَ لَا يَكْتَرِثُ

(بِكُمْ رَبِّي)إِذَا لَمْ تَعْبُدُوهُ فَإِنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ وَ يُوَحِّدُوهُ وَ يُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا

(لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ)إِيمَانُكُمْ(فَقَدْ كَذَّبْتُمْ)أيها الكافرون(فَسَوْفَ يَكُونُ)تَكْذِيبُكُمْ(لِزَامًا)عذابا لَكُمْ يَعْنِي:- مُقْتَضِيًا لِهَلَاكِكُمْ وَ عَذَابِكُمْ وَ دَمَارِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ يلزمكم لزوم الغريم لغريمه و سوف يحكم الله بينكم و بين عباده المؤمنين﴿٧٧﴾

26-سورة الشعراء-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾
إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ
إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ
كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾
وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾
وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾
قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾
أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

(طسٓمٓ)﴿١﴾

موقف المشركين من الرسول و حسرته عليهم 1-9

(تِلۡكَ ءَايَٰتُ)يشير البارى تعالى إشارة تدل على التعظيم لآيات

(ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ)البين الواضح الدال على جميع المطالب الإلهية و المقاصد الشرعية
بحيث لا يبقى عند الناظر فيه شك و لا شبهة فيما أخبر به أو حكم به لوضوحه و دلالته على أشرف المعانى
و ارتباط الأحكام بحكمها و تعليقها بمناسبها فكان رسول الله ﷺينذر به الناس و يهدي به الصراط المستقيم
فيهتدى بذلك عباد الله المتقون و يعرض عنه من كتب عليه الشقاء فكان يحزن حزنا شديدا على عدم إيمانهم
حرصا منه على الخير و نصحا لهم﴿٢﴾فلهذا قال تعالى عنه:-

(لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ)مهلك(نَّفۡسَكَ)و شاق عليها

(أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ)أى: فلا تفعل و لا تذهب نفسك عليهم حسرات
فإن الهداية بيد الله و قد أديت ما عليك من التبليغ و ليس فوق هذا القرآن المبين آية حتى ننزلها ليؤمنوا بها
فإنه كاف شاف لمن يريد الهداية

*وَ هَذِهِ تَسْلِيَةٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺفِي عَدَمِ إِيمَانِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ مِنَ الْكُفَّارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-
{فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}[فَاطِر:8]وَ قَالَ {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}[الْكَهْفِ:6] ﴿٣﴾

و لهذا قال:(إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ)أى:-من آيات الاقتراح

(فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ)أى: أعناق المكذبين (لَهَا خَٰضِعِينَ)ذليلة

*و لكن لا حاجة إلى ذلك و لا مصلحة فيه فإنه إذ ذاك الوقت يكون الإيمان غير نافع و إنما الإيمان النافع الإيمان بالغيب كما قال تعالى:–

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا

*لَوْ شِئْنَا لَأَنْزَلْنَا آيَةً تَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ قَهْرًا و لكنا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّا لَا نُرِيدُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْإِيمَانَ الِاخْتِيَارِيَّ

وَ قَالَ تَعَالَى{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[يُونُسَ:99]

وَ قَالَ{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ118 إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هُودٍ]

فنَفَذ قَدَرُه وَ مَضَتْ حِكْمَتُهُ وَ قَامَتْ حُجَّتُهُ الْبَالِغَةُ عَلَى خَلْقِهِ بِإِرْسَالِ الرسل إليهم و إنزال الكتب عليهم﴿٤﴾

(وَمَا)كُلَّمَا(يَأۡتِيهِم)جَاءَهُمْ(مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ) كِتَابٌ مِنَ السَّمَاءِ

(مُحۡدَثٍ)إنزاله شيئًا بعد شيء يأمرهم و ينهاهم و يذكرهم ما ينفعهم و يضرهم.

كَمَا قَالَ{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}[يُوسُفَ:103] و قال{يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}[يس:30]وَ قَالَ{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}[الْمُؤْمِنُونَ: 44]

(إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ)أَعْرَضَ عَنْهُ أَكْثَرُ النَّاسِ بقلوبهم و أبدانهم هذا إعراضهم عن الذكر المحدث الذى جرت العادة أنه يكون موقعه أبلغ من غيره فكيف بإعراضهم عن غيره

و هذا لأنهم لا خير فيهم و لا تنجع فيهم المواعظ﴿٥﴾و لهذا قال:–

(فَقَدۡ كَذَّبُواْ)أى: بالحق و صار التكذيب لهم سجية لا تتغير و لا تتبدل

(فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)فَسَيَعْلَمُونَ نَبَأَ هَذَا التَّكْذِيبِ بَعْدَ حِينٍ

*أى: سيقع بهم العذاب و يحل بهم ما كذبوا به فإنهم قد حقت عليهم كلمة العذاب.

*{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}[الشُّعَرَاءِ: 227]﴿٦﴾قال الله منبها على التفكر الذي ينفع صاحبه:–

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ)من جميع أصناف النباتات حسنة المنظر كريمة فى نفعها﴿٧﴾

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ)على إحياء الله الموتى بعد موتهم كما أحيا الأرض بعد موتها

(وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ)كما قال تعالى:–(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)﴿٨﴾

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ)

الذى قد قهر كل مخلوق و دان له العالم العلوى و السفلى الذى أهلك الأشقياء بأنواع العقوبات

(ٱلرَّحِيمُ)الذى وسعت رحمته كل شىء و وصل جوده إلى كل حى

(ٱلرَّحِيمُ)بالسعداء حيث أنجاهم من كل شر و بلاء

*أعاد البارى تعالى قصة موسى و ثناها فى القرآن ما لم يثن غيرها لكونها:-

موسى مع فرعون 10-51

1-مشتملة على حكم عظيمة و عبر

2-و فيها نبأه مع الظالمين و المؤمنين و هو صاحب الشريعة الكبرى و صاحب التوراة أفضل الكتب بعد القرآن ⑨

(و)اذكر(وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ)أى:-حالته الفاضلة وقت نداء الله إياه حين كلمه و نبأه و أرسله فقال:-

(أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)الذين تكبروا فى الأرض و علوا على أهلها و ادعى كبيرهم الربوبية⑩

(قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ)أى: قل لهم بلين قول و لطف عبارة

(أَلَا يَتَّقُونَ)الله الذى خلقكم و رزقكم فتتركون ما أنتم عليه من الكفر⑪

فقال موسى عليه السلام معتذرا من ربه و مبينا لعذره و سائلا له المعونة على هذا الحمل الثقيل

(قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ⑫ وَيَضِيقُ)يمتلأ(صَدۡرِي)بالغمٌ لتكذيبهم إياى فقال:-

(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي25وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي26وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي27 يَفْقَهُوا قَوْلِي28وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي29هَارُونَ أَخِي)[طه]

(وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي)بالدعوة(فَأَرۡسِلۡ)جبريل بالوحى (إِلَىٰ)أخى

(هَٰرُونَ)ليعاوننى و يصدقنى فيما أقول و يبين لهم ما أخاطبهم به فهو أفصح مني نطقاً.

*فأجاب الله طلبته و نبأ أخاه هارون كما نبأه(فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا)أى معاونا لى على أمرى أن يصدقونى⑬

﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾ القصص: ٣٤
الاعتراف بمزايا الآخرين من صفات الانبياء
و انكارها من صفات الشيطان
﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ ص: ٧٦

(وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ)أى فى قتل القبطى(فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ)⑭

(قَالَ كَلَّاۖ)أى لا يتمكنون من قتلك{فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ}[القَصَص:35]

و لهذا لم يتمكن فرعون من قتل موسى مع منابذته له غاية المنابذة و تسفيه رأيه و تضليله و قومه

*قَالَ اللَّهُ لَهُ: لَا تَخَفْ مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ{قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا}أَىْ: بُرْهَانًا

(فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ)الدالة على صدقكما و صحة ما جئتما به(إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ)أحفظكما و أكلؤكما

*كَمَا قَالَ تَعَالَى{إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}[طه:46]أَىْ: إِنَّنِى مَعَكُمَا بِحِفْظِى وَ كِلَاءَتِى وَ نَصْرِى وَ تَأْيِيدِى⑮

(فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)أى أرسلنا إليك لتؤمن به و بنا و تنقاد لعبادته و تذعن لتوحيده.

*وَ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى{إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ} [طه:47]أَيْ: كُلٌّ مِنَّا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ ﴿١٦﴾

(أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)أَيْ: أَطْلِقْهُمْ مِنْ إِسَارِكَ وَ قَبْضَتِكَ وَ قَهْرِكَ وَ تَعْذِيبِكَ فَإِنَّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ وَ حِزْبُهُ الْمُخْلَصُونَ وَ هُمْ مَعَكَ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ

*فكف عنهم عذابك و ارفع عنهم يدك ليعبدوا ربهم و يقيموا أمر دينهم﴿١٧﴾

فلما جاءا فرعون و قالا له ما قال الله لهما لم يؤمن فرعون و لم يلن و جعل يعارض موسى وَ نَظَرَ بِعَيْنِ الِازْدِرَاءِ وَ الْغَمْصِ فـــــ(قَالَ)

(أَلَمۡ نُرَبِّكَ)ألم ننعم عليك و نقم بتربيتك منذ كنت (فِينَا وَلِيدًا)فى مهدك فِي بَيْتِنَا وَ عَلَى فِرَاشِنَا وَ غَذَّيْنَاهُ و لم تزل كذلك(وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ)وَ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ مُدَّةً مِنَ السِّنِينِ ﴿١٨﴾

(وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ)

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا قَابَلْتَ ذَلِكَ الْإِحْسَانَ بِتِلْكَ الْفَعْلَةِ أَنْ قَتَلْتَ مِنَّا رَجُلًا قبطيا حين استغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) الآية وَ جَحَدْتَ نِعْمَتَنَا عَلَيْكَ

(وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)الجاحدين

*أى:و أنت إذ ذاك طريقك طريقنا و سبيلك سبيلنا فى الكفر فأقر على نفسه بالكفر من حيث لا يدرى﴿١٩﴾

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

فــــــ(قَالَ) موسى:-

(فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ)أى: عن غير كفر و إنما كان عن ضلال و سفه فاستغفرت ربى فغفر لى﴿٢٠﴾

(فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ)حين تراجعتم بقتلى فهربت إلى مدين و مكثت سنين ثم جئتكم.

(فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا)تفضلا منه النبوة و العلم

(وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

فالحاصل أن اعتراض فرعون على موسى اعتراض جاهل أو متجاهل فإنه جعل المانع من كونه رسولاً أن جرى منه القتل فبين له موسى أن قتله كان على وجه الضلال و الخطأ الذى لم يقصد نفس القتل و أن فضل الله تعالى غير ممنوع منه أحد فلم منعتم ما منحني الله من الحكم و الرسالة؟

بقي عليك يا فرعون إدلاؤك بقولك:(أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا)و عند التحقيق يتبين أن لا منة لك فيها ﴿٢١﴾

و لهذا قال موسى:-

(وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)

أو تلك التربية فى بيتك تَعُدُّها نعمة منك علىَّ و قد جعلت بنى إسرائيل عبيدًا تذبح أبناءهم و تستبقى نساءهم للخدمة و الامتهان؟

*أى: تدلى على بهذه المنة لأنك سخرت بنى إسرائيل و جعلتهم لك بمنزلة العبيد و أنا قد أسلمتنى من تعبيدك و تسخيرك و جعلتها علىَّ نعمة

فعند التصور:–

يتبين أن الحقيقة أنك ظلمت هذا الشعب الفاضل و عذبتهم و سخرتهم بأعمالك و أنا قد سلمنى الله من أذاك مع وصول أذاك لقومى فما هذه المنة التى تبت بها و تدلى بها؟﴿٢٢﴾

(قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ)و هذا إنكار منه لربه ظلما و علوا مع تيقن صحة ما دعاه إليه موسى

*وَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِقَوْمِهِ:-{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}[الْقَصَصِ:38]{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ}[الزُّخْرُفِ:54]

*وَ كَانُوا يَجْحَدُونَ الصَّانِعَ -تَعَالَى-وَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَهُمْ سِوَى فِرْعَوْنَ فَلَمَّا قَالَ لَهُ مُوسَى:

{إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الزُّخْرُفِ:46] قَالَ لَهُ: و مَنْ هَذَا الَّذِى تَزْعُمُ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ غَيْرِى؟

هَكَذَا فَسَّرَهُ عُلَمَاءُ السَّلَفِ وَ أَئِمَّةُ الْخَلَفِ حَتَّى قَالَ السُّدِّيُّ:-هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى49 قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[طه]﴿٢٣﴾

(قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ)

أى: الذى خلق العالم العلوى و السفلى و دبره بأنواع التدبير و رباه بأنواع التربية.

و من جملة ذلك أنتم أيها المخاطبون فكيف تنكرون خالق المخلوقات و فاطر الأرض و السماوات

(إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ)﴿٢٤﴾

فـــــ(قَالَ) فرعون متجرهما و معجبا

*فَعِنْدَ ذَلِكَ الْتَفَتَ فِرْعَوْنُ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنْ مَلَئِه وَ رُؤَسَاءِ دَوْلَتِهِ قَائِلًا لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ وَ الِاسْتِهْزَاءِ وَ التَّكْذِيبِ لِمُوسَى فِيمَا قَالَهُ

(لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ)ما يقول هذا الرجل ﴿٢٥﴾

فـ(قَالَ) موسى:–(رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ)تعجبتم أم لا استكبرتم أم أذعنتم﴿٢٦﴾

فـــــ(قَالَ)فرعون معاندا للحق قادحا بمن جاء به:–

(إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)حيث قال خلاف ما نحن عليه و خالفنا فيما ذهبنا إليه

فالعقل عنده و أهل العقل:–

من زعموا أنهم لم يخلقوا أو أن السماوات و الأرض ما زالتا موجودتين من غير موجد و أنهم بأنفسهم خلقوا من غير خالق

و العقل عنده:–أن يعبد المخلوق الناقص من جميع الوجوه

و الجنون عنده:– أن يثبت الرب الخالق للعالم العلوي و السفلي و المنعم بالنعم الظاهرة و الباطنة

و يدعو إلى عبادته و زين لقومه هذا القول و كانوا سفهاء الأحلام خفيفى العقول

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)﴿٢٧﴾

فــــــ(قَالَ)موسى ﷺ مجيبا لإنكار فرعون و تعطيله لرب العالمين:-

(رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ)من سائر المخلوقات(إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ)

فقد أديت لكم من البيان و التبيين ما يفهمه كل من له أدنى مسكة من عقل فما بالكم تتجاهلون فيما أخاطبكم به؟

و فيه إيماء و تنبيه إلى:-

أن الذى رميتم به موسى من الجنون أنه داؤكم فرميتم أزكى الخلق عقلا و أكملهم علما بالجنون

و الحال أنكم أنتم المجانين حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجودات خالق الأرض و السماوات و ما بينهما فإذا جحدتموه فى شيء تثبتون؟

و إذا جهلتموه فأى شيء تعلمون؟

و إذا لم تؤمنوا به و بآياته فبأى شيء – بعد الله و آياته – تؤمنون؟

تالله إن المجانين الذين بمنزلة البهائم أعقل منكم و إن الأنعام السارحة أهدى منكم.

*هُوَ الَّذِى جَعَلَ الْمَشْرِقَ مَشْرِقًا تَطْلُعُ مِنْهُ الْكَوَاكِبُ وَ الْمَغْرِبَ مَغْرِبًا تَغْرُبُ فِيهِ الْكَوَاكِبُ ثَوَابِتُهَا وَ سَيَّارَاتُهَا مَعَ هَذَا النِّظَامِ الَّذِي سَخّرها فِيهِ وَ قَدَّرَهَا فَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِى يَزْعُمُ أَنَّهُ رَبُّكُمْ وَ إِلَهُكُمْ صَادِقًا فَلْيَعْكِسِ الْأَمْرَ وَ لِيَجْعَلِ الْمَشْرِقَ مَغْرِبًا وَ الْمَغْرِبَ مَشْرِقًا كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ {الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البَقَرَة:258]

وَ لِهَذَا لَمَّا غُلب فِرْعَوْنُ وَ انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ عَدَلَ إِلَى اسْتِعْمَالِ جَاهِهِ وَ قُوَّتِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ اعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعٌ لَهُ وَ نَافِذٌ فِي مُوسَى ﷺ

*فلما خنقت فرعون الحجة و عجزت قدرته و بيانه عن المعارضة(قَالَ)متوعدا لموسى بسلطانه:-

(لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ)

زعم–قبحه الله–أنه قد طمع فى إضلال موسى و أن لا يتخذ إلها غيره و إلا فقد تقرر أنه هو و من معه على بصيرة من أمرهم ﴿٢٩﴾

فـ(قَالَ) له موسى:-

(أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ)أى: آية ظاهرة جلية على صحة ما جئت به من خوارق العادات﴿٣٠﴾

(قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ)

(فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ)ذكر الحيات ذَاتُ قَوَائِمَ وَ فَمٍ كَبِيرٍ وَ شَكْلٍ هَائِلٍ مُزْعِجٍ

(مُّبِينٌ)ظاهر لكل أحد لا خيال و لا تشبيه﴿٣٢﴾

(وَنَزَعَ يَدَهُۥ)من جيبه(فَإِذَا هِىَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ)أى: لها نور عظيم لا نقص فيه لمن نظر إليها﴿٣٣﴾

(قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ)

معارضا للحق و من جاء به: موَّه عليهم لعلمه بضعف عقولهم أن هذا من جنس ما يأتى به السحرة

لأنه من المتقرر عندهم أن السحرة يأتون من العجائب بما لا يقدر عليه الناس

و خوَّفهم أن قصده بهذا السحر التوصل إلى إخراجهم من وطنهم ليجدوا و يجتهدوا فى معاداة من يريد

إجلاءهم عن أولادهم و ديارهم

(فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ)أن نفعل به؟ ﴿٣٥﴾

(قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ)أَخِرۡهُ(وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ)

(فِى ٱلۡمَدَآئِنِ)جمع مدينة و التى كانت تحت سطوة فرعون و ملكه (و ليس المراد منطقة المدائن)

(حَـٰشِرِينَ)جامعين للناس﴿٣٦﴾(يَأۡتُوكَ)أولئك الحاشرون

(بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ)أى: ابعث فى جميع مدنك التى هى مقر العلم و معدن السحر من يجمع لك كل ساحر

ماهر عليم فى سحره فإن الساحر يقابل بسحر من جنس سحره.

و هذا من لطف الله:-

أن يرى العباد بطلان ما موه به فرعون الجاهل الضال المضل أن ما جاء به موسى سحر قيضهم أن جمعوا أهل

المهارة بالسحر لينعقد المجلس عن حضرة الخلق العظيم

فيظهر الحق على الباطل و يقر أهل العلم و أهل الصناعة بصحة ما جاء به موسى و أنه ليس بسحر فعمل

فرعون برأيهم فأرسل فى المدائن من يجمع السحرة و اجتهد فى ذلك و جد﴿٣٧﴾

(فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ)قد واعدهم إياه موسى و هو يوم الزينة الذى يتفرغون فيه من أشغالهم﴿٣٨﴾

(وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ)أى: نودى بعموم الناس بالاجتماع فى ذلك اليوم الموعود﴿٣٩﴾

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

(لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ)أى: قالوا للناس: اجتمعوا لتنظروا غلبة السحرة لموسى و أنهم ماهرون فى صناعتهم فنتبعهم و نعظمهم و نعرف فضيلة علم السحر فلو وفقوا للحق لقالوا:-

لعلنا نتبع المحق منهم و لنعرف الصواب فلذلك ما أفاد فيهم ذلك إلا قيام الحجة عليهم﴿٤٠﴾

(فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ)عندما وصلوا (لِفِرْعَوْنَ):-

(أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ)لموسى؟ ﴿٤١﴾(قَالَ نَعَمْ)لكم أجر و ثواب

(وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ)

عندى وعدهم الأجر و القربة منه ليزداد نشاطهم و يأتوا بكل مقدورهم فى معارضة ما جاء به موسى﴿٤٢﴾

فلما اجتمعوا للموعد هم و موسى و أهل مصر وعظهم موسى و ذكرهم و قال:-

(وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى)

فتنازعوا و تخاصموا ثم شجعهم فرعون و شجع بعضهم بعضا فـــــ(قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ):-

ألقوا كل ما فى خواطركم إلقاؤه و لم يقيده بشيء دون شيء لجزمه ببطلان ما جاءوا به من معارضة الحق.

*وَ قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ:-أَنَّهُمْ {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأَعْرَاف:116]﴿٤٣﴾

(فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ)فإذا هى حيات تسعى و سحروا بذلك أعين الناس

(وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ)لموسى

فاستعانوا بعزة عبد ضعيف عاجز من كل وجه إلا أنه قد تجبر و حصل له صورة ملك و جنود فغرتهم تلك الأبهة و لم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر أو أن هذا قسم منهم بعزة فرعون و المقسم عليه أنهم غالبون﴿٤٤﴾

(فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ)تبتلع و تأخذ

(مَا يَأْفِكُونَ)فالتفت جميع ما ألقوا من الحبال و العصى لأنها إفك و كذب و زور و ذلك كله باطل لا يقوم للحق و لا يقاومه﴿٤٥﴾

فلما رأى السحرة هذه الآية العظيمة تيقنوا – لعلمهم – أن هذا ليس بسحر و إنما هو آية من آيات الله و معجزة تنبئ بصدق موسى و صحة ما جاء به.

(فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ)﴿٤٦﴾لربهم(قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ)

و انقمع الباطل فى ذلك المجمع و أقر رؤساؤه ببطلانه و وضح الحق و ظهر حتى رأى ذلك الناظرون بأبصارهم و لكن أبى فرعون إلا عتوا و ضلالا تماديا فى غيه و عنادا ﴿٤٨﴾ فـ(قَالَ)للسحرة:–

(ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ)

يتعجب و يعجب قومه من جراءتهم عليه و إقدامهم على الإيمان من غير إذنه و مؤامرته.

(إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ)

هذا و هو الذى جمع السحرة و ملأه الذين أشاروا عليه بجمعهم من مدائنهم

–و قد علموا أنهم ما اجتمعوا بموسى و لا رأوه قبل ذلك

–و أنهم جاءوا من السحر بما يحير الناظرين و يهيلهم

–و مع ذلك فراج عليهم هذا القول الذى هم بأنفسهم وقفوا على بطلانه فلا يستنكر على أهل هذه العقول أن لا يؤمنوا بالحق الواضح و الآيات الباهرة لأنهم لو قال لهم فرعون عن أى شيء كان إنه على خلاف حقيقته صدقوه.

*ثم توعد السحرة فقال:–

(لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ)اليد اليمنى و الرجل اليسرى كما يفعل بالمفسد فى الأرض

(وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)لتختزوا و تذلوا كما قال تعالى{إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} [طه:71] وَ قَالَ:-

{إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الأَعْرَافِ:123] ﴿٤٩﴾

فـــــ(قَالُوا۟)أى السحرة – حين وجدوا حلاوة الإيمان و ذاقوا لذته – :

(لَا ضَيۡرَۖ)ضرر أى: لا نبالى بما توعدتنا به(من عقاب الدنيا)

(إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ)من الكفر و السحر و غيرهما

(أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)مبادرين بالايمان بموسى من هؤلاء القبط فثبتهم الله و صبرهم فَقَتَلَهُمْ كُلَّهُمْ فيحتمل أن:–

1–فرعون فعل بهم ما توعدهم به لسلطانه و اقتداره إذ ذاك

2–و يحتمل أن الله منعه منهم

ثم لم يزل فرعون و قومه مستمرين على كفرهم يأتيهم موسى بالآيات البينات و كلما جاءتهم آية و بلغت منهم كل مبلغ وعدوا موسى و عاهدوه لئن كشف الله عنهم ليؤمنن به و ليرسلن معه بني إسرائيل فيكشفه الله ثم ينكثون۝٥١

*فلما يئس موسى من إيمانهم و حقت عليهم كلمة العذاب و آن لبنى إسرائيل أن ينجيهم من أسرهم و يمكن لهم فى الأرض(وَأَوۡحَيۡنَآ)أي أوحى الله إلى موسى:–

نجاة موسى من فرعون 52-68

(أَنۡ أَسۡرِ)اخرج أول الليل(بِعِبَادِيٓ)أى:– ببنى إسرائيل ليتمادوا و يتمهلوا فى ذهابهم.

(إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ)أى:–سيتبعكم فرعون و جنوده.

و وقع كما أخبر فإنهم لما أصبحوا و إذا بنو إسرائيل قد سروا كلهم مع موسى۝٥٢

(فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ)يجمعون الناس ليوقع ببنى إسرائيل۝٥٣و يقول مشجعا لقومه:–

(إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ)أى:–بنى إسرائيل(لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ)لطائفة قليلة۝٥٤

(وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ)كُلَّ وَقْتٍ يَصِلُ لَنَا مِنْهُمْ مَا يَغِيظُنَا و نريد أن ننفذ غيظنا فى هؤلاء العبيد الذين أبِقُوا منا۝٥٥

(وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ)أى:–الحذر على الجميع منهم و هم أعداء للجميع و المصلحة مشتركة

فخرج فرعون و جنوده فى جيش عظيم و نفير عام لم يتخلف منهم سوى أهل الأعذار الذين منعهم العجز۝٥٦

قال الله تعالى:–(فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ)بساتين مصر و جناتها الفائقة

(وَعُيُونٖ)ــها المتدفقة و زروع قد ملأت أراضيهم و عمرت بها حاضرتهم و بواديهم۝٥٧

(وَكُنُوزٖ)خزائن المال

(وَمَقَامٖ كَرِيمٖ)المنازل الحسان يعجب الناظرين و يلهى المتأملين تمتعوا به دهرا طويلا و قضوا بلذته و شهواته عمرا مديدا على الكفر و الفساد و التكبر على العباد و التيه العظيم ۝٥٨

(كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا)أى:–هذه البساتين و العيون و الزروع و المقام الكريم

(بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)الذين جعلوهم من قبل عبيدهم و سخروا فى أعمالهم الشاقة فسبحان من يؤتى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يعز من يشاء بطاعته و يذل من يشاء بمعصيته.

*كَمَا قَالَ تَعَالَى{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} [الأَعْرَافِ:137]

وَ قَالَ تَعَالَى{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ5 وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} [الْقَصَصِ] ﴿٥٩﴾

(فَأَتۡبَعُوهُم)أى:–اتبع قوم فرعون قوم موسى

(مُّشۡرِقِينَ)وقت شروق الشمس و ساقوا خلفهم محثين على غيظ و حنق قادرين﴿٦٠﴾

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

(فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ)أي رأى كل منهما صاحبه(قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ)شاكين لموسى و حزنين

(إِنَّا)إنَّ جَمْعَ فرعون(لَمُدۡرَكُونَ)منهم و مُهْلَكُون
وَ ذَلِكَ أَنَّهُ انْتَهَى بِهِمُ السَّيْرُ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ وَ هُوَ بَحْرُ الْقُلْزُمِ فَصَارَ أَمَامَهُمُ الْبَحْرُ وَ فِرْعَوْنُ قَدْ أَدْرَكَهُمْ بِجُنُودِهِ﴿٦١﴾

فـــــ(قَالَ)موسى مثبتا لهم و مخبرا لهم بوعد ربه الصادق:–

(كَلَّآۖ)أي: ليس الأمر كما ذكرتم أنكم مدركون

(إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ)لما فيه نجاتي و نجاتكم﴿٦٢﴾

(فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ)قطعة منفصلة(كَٱلطَّوۡدِ)كالجبل(ٱلۡعَظِيمِ)﴿٦٣﴾

فدخله موسى و قومه(وَأَزۡلَفۡنَا)قرَّبْنا(ثَمَّ)في ذلك المكان

(ٱلۡأٓخَرِينَ)أي فرعون و قومه قربناهم و أدخلناهم في ذلك الطريق الذي سلك منه موسى و قومه﴿٦٤﴾

(وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ)استكملوا خارجين لم يتخلف منهم أحد﴿٦٥﴾

(ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ)لم يتخلف منهم عن الغرق أحد﴿٦٦﴾

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ)عظيمة على صدق ما جاء به موسى عليه السلام و بطلان ما عليه فرعون و قومه

(وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)مع هذه الآيات المقتضية للإيمان لفساد قلوبكم﴿٦٧﴾

قصة ابراهيم مع أبيه و قومه 69-89

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ)بعزته أهلك الكافرين المكذبين

(الرَّحِيمُ)و برحمته نجى موسى و من معه أجمعين﴿٦٨﴾

(وَاتْلُ)اقصص يا محمد(عَلَيْهِمْ)على الناس

(نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ)الخليل و خبره الجليل فى هذه الحالة بخصوصها و إلا فله أنباء كثيرة و لكن من أعجب أنبائه و أفضلها هذا النبأ المتضمن لرسالته و دعوته قومه و محاجته إياهم و إبطاله ما هم عليه﴿٦٩﴾ و لذلك قيده بالظرف فقال:—

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴿٧٠﴾ قَالُوا)متبجحين بعبادتهم:—

(نَعْبُدُ أَصْنَامًا)ننحتها و نعملها بأيدينا(فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ)أى مقيمين على عبادتها فى كثير من أوقاتنا﴿٧١﴾

فـــــ(قَالَ) لهم إبراهيم مبينا لعدم استحقاقها للعبادة:—

(هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ)فيستجيبون دعاءكم و يفرجون كربكم و يزيلون عنكم كل مكروه؟﴿٧٢﴾

(أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ)فأقروا أن ذلك كله غير موجود فيها فلا تسمع دعاء و لا تنفع و لا تضر و لهذا لما كسرها و قال:(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) قالوا له:—(لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ)﴿٧٣﴾

أى: هذا أمر متقرر من حالها لا يقبل الإشكال و الشك. فلجأوا إلى تقليد آبائهم الضالين فــ(قَالُوا):—

(بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ)فتبعناهم على ذلك و سلكنا سبيلهم و حافظنا على عاداتهم فقال لهم إبراهيم: أنتم و آباءكم كلكم خصوم فى الأمر و الكلام مع الجميع واحد﴿٧٤﴾

(قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ)﴿٧٦﴾

(فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي)فليضرونى بأدنى شيء من الضرر و ليكيدونى فلا يقدرون(إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ)﴿٧٧﴾

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ)هو المنفرد بنعمة الخلق و نعمة الهداية للمصالح الدينية و الدنيوية﴿٧٨﴾

ثم خصص منها بعض الضروريات فقال:—(وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ)

فهذا هو وحده المنفرد بذلك فيجب أن يفرد بالعبادة و الطاعة و تترك هذه الأصنام التى لا تخلق و لا تهدي و لا تمرض و لا تشفى و لا تطعم و لا تسقى و لا تميت و لا تحيي و لا تنفع عابديها بكشف الكروب و لا مغفرة الذنوب.

فهذا دليل قاطع و حجة باهرة لا تقدرون أنتم و آباؤكم على معارضتها فدل على اشتراككم في الضلال

و ترككم طريق الهدى و الرشد. قال الله تعالى:-(وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ)الآيات﴿٧٩﴾

(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)أَسْنَدَ الْمَرَضَ إِلَى نَفْسِهِ
وَ إِنْ كَانَ عَنْ قَدَرِ اللَّهِ وَ قَضَائِهِ و خلَقْه وَ لَكِنْ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ أَدَبًا كَمَا قَالَ تَعَالَى آمِرًا لِلْمُصَلّى أَنْ يَقُولَ:
{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ 6 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} [الْفَاتِحَةِ]
فَأَسْنَدَ الْإِنْعَامَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ الْغَضَبَ حُذف فَاعِلُهُ أَدَبًا وَ أَسْنِدَ الضَّلَالَ إِلَى الْعَبِيدِ
كَمَا قَالَتِ الْجِنُّ:{وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}[الجن:10]﴿٨٠﴾

(وَالَّذِي يُمِيتُنِي)في الدينا بقبض روحي(ثُمَّ يُحْيِينِ)يوم القيامة لا يقدر على ذلك أحد سواه﴿٨١﴾

(وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ)يتجاوز(لِي)عن(خَطِيئَتِي)ذنبي(يَوْمَ الدِّينِ)الجزاء﴿٨٢﴾ ثم دعا عليه السلام ربه فقال:-

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا)أي:-علما كثيرا أعرف به الأحكام و الحلال و الحرام و أحكم به بين الأنام

(وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)من إخوانه الأنبياء و المرسلين كما قال النبي ﷺ عند الاحتضار :-

*البخاري6509 -عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ:-كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَ هُوَ صَحِيحٌ:-
«إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ»
فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَ رَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ
ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى» قُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا وَ عَرَفْتُ أَنَّهُ الحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ
قَالَتْ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺقَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى»﴿٨١﴾

وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾
وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾
وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ
أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾
تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾
فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾
كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾

(وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ)ثناء(صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ)مستمر إلى آخر الدهر.

فاستجاب الله دعاءه فوهب له من العلم و الحكم ما كان به من أفضل المرسلين و ألحقه بإخوانه المرسلين و جعله محبوبا مقبولا معظما مثنًى عليه فى جميع الملل فى كل الأوقات.

*وَ اجْعَلْ لِي ذِكْرًا جَمِيلًا بَعْدِى أذكرَ بِهِ وَ يُقْتَدَى بِي فِي الْخَيْرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ108 سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ109 كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصَّافَّات] ﴿٨٤﴾

(وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ)

من أهل الجنة التى يورثهم الله إياها فأجاب الله دعاءه فرفع منزلته فى جنات النعيم ﴿٨٥﴾

(وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ)و هذا الدعاء بسبب الوعد الذي قال لأبيه:-(سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا)

قال(وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)

[التوبة:114] ﴿٨٦﴾

(وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ)أى:-بالتوبيخ على بعض الذنوب و العقوبة عليها و الفضيحة بل أسعدنى فى ذلك اليوم

*البخارى:4768 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَ السَّلاَمُ يَرَى أَبَاهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ الغَبَرَةُ وَ القَتَرَةُ» الغَبَرَةُ هِيَ القَتَرَةُ "

*البخارى3350 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَ عَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ(سواد الدخان)وَ غَبَرَةٌ
(غبار ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه و لعل المراد هنا ما يغشى الوجه من شدة الكرب وما يعلوه من ظلمة الكفر)فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ:-
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ:فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ:-
يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ(من رحمة الله تعالى)؟
فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:-إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ:يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟
فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ(الذيخ ذكر الضبع الكثير الشعر أري أباه على غير هيئته و منظره ليسرع إلى التبرء منه)مُلْتَطِخٍ(متلوث بالدم ونحوه)فَيُؤْخَذُ
بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ"﴿٨٧﴾

(يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ)

(بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)الذى سلم من الشرك و الشك و محبة الشر و الإصرار على البدعة و الذنوب
و يلزم من سلامته مما ذكر اتصافه بأضدادها من:–الإخلاص و العلم و اليقين و محبة الخير و تزيينه فى قلبه
و أن تكون إرادته و محبته تابعة لمحبة الله و هواه تابعا لما جاء عن الله
فهذا الذى ينفعه عندك و هذا الذى ينجو به من العقاب و يستحق جزيل الثواب﴿٨٩﴾
*ثم ذكر من صفات ذلك اليوم العظيم و ما فيه من الثواب و العقاب فقال:–

(وَأُزْلِفَتِ)قربت(ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ)ربهم الذين امتثلوا أوامره و اجتنبوا زواجره و اتقوا سخطه و عقابه﴿٩٠﴾

من مشاهد يوم القيامة 90-104

(وَبُرِّزَتِ)أُظهرت(ٱلْجَحِيمُ)و برزت و استعدت بجميع ما فيها من العذاب
(لِلْغَاوِينَ)الذين ضَلُّوا عن الهدى و تجرَّؤوا على محارم الله و كذَّبوا رسله الذين أوضعوا فى معاصى الله
و تجرأوا على محارمه و كذبوا رسله و ردوا ما جاءوهم به من الحق﴿٩١﴾

(وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ)بأنفسهم أى:–
فلم يكن من ذلك من شيء و ظهر كذبهم و خزيهم و لاحت خسارتهم و فضيحتهم و بان ندمهم و ضل سعيهم﴿٩٣﴾

(فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا) ألقوا على وجوههم فى جهنم و دحرجوا فيها حتى انتهوا إلى قعرها.

(هُمْ)أى ما كانوا يعبدون(وَٱلْغَاوُۥنَ)العابدون لها﴿٩٤﴾

(وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ)من الإنس و الجن الذين أزَّهم إلى المعاصى أزًّا و تسلط عليهم بشركهم و عدم إيمانهم
فصاروا من دعاته و الساعين فى مرضاته و هم ما بين داع لطاعته و مجيب لهم و مقلد لهم على شركهم﴿٩٥﴾

(قَالُوا۟)أى جنود إبليس الغاوون لأصنامهم و أوثانهم التى عبدوها

(وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ)يَقُولُ الضعفاء الذين اسْتَكْبَرُوا:-

{إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ[غافر:47]﴿٩٦﴾وَ يَقُولُونَ وَ قَدْ عَادُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ:-

(تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم)فى العبادة و المحبة و الخوف و الرجاء

و ندعوكم كما ندعوه فتبين لهم حينئذ ضلالهم و أقروا بعدل الله فى عقوبتهم و أنها فى محلها و هم لم

يسووهم برب العالمين إلا فى العبادة لا في الخلق بدليل قولهم

(بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)إنهم مقرون أن الله رب العالمين كلهم الذين من جملتهم أصنامهم و أوثانهم﴿٩٨﴾

(وَمَآ أَضَلَّنَآ)عن طريق الهدى و الرشد و دعانا إلى طريق الغى و الفسق

(إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ)و هم الأئمة الذين يدعون إلى النار﴿٩٩﴾

(فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ)يشفعون لنا لينقذونا من عذابه ﴿١٠٠﴾

(وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ)أى قريب مصاف ينفعنا بأدنى نفع كما جرت العادة بذلك فى الدنيا فأيسوا من كل خير و أبلسوا

بما كسبوا و تمنوا العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحا﴿١٠١﴾

(فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً)رجعة إلى الدنيا و إعادة إليها(فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

لنسلم من العقاب و نستحق الثواب هيهات هيهات قد حيل بينهم و بين ما يشتهون و قد غلقت منهم الرهون

*وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ أَنَّهُمْ يردُّون إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا لِيَعْمَلُوا بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ-فِيمَا يَزْعُمُونَ-وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ رَدَّهُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

وَ قَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ فِي سُورَةِ "ص"ثُمَّ قَالَ:-{إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} [ص:64] ﴿١٠٢﴾

(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ)الذى ذكرنا لكم و وصفنا (لَأٓيَةً)لكم(وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ)مع نزول الآيات﴿١٠٣﴾

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)﴿١٠٤﴾

*يذكر تعالى تكذيب قوم نوح لرسولهم نوح و ما رد عليهم و ردوا عليه و عاقبة الجميع فقال:–

(كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)جميعهم و جعل تكذيب نوح كتكذيب جميع المرسلين لأنهم كلهم اتفقوا على دعوة

واحدة و أخبار واحدة فتكذيب أحدهم تكذيب بجميع ما جاءوا به من الحق كذّبوه﴿١٠٥﴾

قصة نوح مع قومه 105-122

(إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ)فى النسب

(نُوحٌ)و إنما ابتعث الله الرسل من نسب من أرسل إليهم لئلا يشمئزوا من الانقياد له و لأنهم يعرفون حقيقته

فلا يحتاجون أن يبحثوا عنه

فقال لهم مخاطبا بألطف خطاب–كما هى طريقة الرسل صلوات الله و سلامه عليهم –:–

(أَلَا تَتَّقُونَ)الله تعالى فتتركون ما أنتم مقيمون عليه من عبادة الأوثان و تخلصون العبادة لله وحده(١٠٦)

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)فكونه رسولا إليهم بالخصوص يوجب لهم تلقى ما أرسل به إليهم و الإيمان به و أن يشكروا الله تعالى على أن خصهم بهذا الرسول الكريم و كونه أمينا يقتضى أنه لا يتقول على الله و لا يزيد في وحيه و لا ينقص و هذا يوجب لهم التصديق بخبره و الطاعة لأمره(١٠٧)

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)فيما آمركم به و أنهاكم عنه

فإن هذا هو الذى يترتب على كونه رسولا إليهم أمينا فلذلك رتبه بالفاء الدالة على السبب فذكر السبب الموجب (١٠٨) ثم ذكر انتفاء المانع فقال:-

(وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ)فتتكلفون من المغرم الثقيل

(إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)أرجو بذلك القرب منه و الثواب الجزيل

و أما أنتم فمنيتى و منتهى إرادتى منكم النصح لكم و سلوككم الصراط المستقيم(١٠٩)

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)كرر ذلك عليه السلاملتكريره دعوة قومه و طول مكثه في ذلك كما قال تعالى:-

(فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا)و قال(رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا)الآيات(١١٠)

فـــــ(قَالُوا)ردا لدعوته و معارضة له بما ليس يصلح للمعارضة:

(أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ)كيف نتبعك و نحن لا نرى أتباعك إلا (الْأَرْذَلُونَ)أسافل الناس و أراذلهم و سقطهم بهذا يعرف تكبرهم عن الحق و جهلهم بالحقائق

فإنهم لو كان قصدهم الحق لقالوا-إن كان عندهم إشكال و شك فى دعوته-بيّن لنا صحة ما جئت به بالطرق الموصلة إلى ذلك و لو تأملوا حق التأمل لعلموا:-

1-أن أتباعه هم الأعلون خيار الخلق أهل العقول الرزينة والأخلاق الفاضلة

2-و أن الأرذل من سُلِب خاصية عقله فاستحسن عبادة الأحجار و رضى أن يسجد لها و يدعوها و أبى الانقياد لدعوة الرسل الكمل.

و بمجرد ما يتكلم أحد الخصمين فى الكلام الباطل يُعْرف فساد ما عنده بقطع النظر عن صحة دعوى خصمه فقوم نوح لما سمعنا عنهم أنهم (قَالُوا)فى ردهم دعوة نوح:-

(أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ)

فبنوا على هذا الأصل الذى كل أحد يعرف فساده رد دعوته-عرفنا أنهم ضالون مخطئون

و لو لم نشاهد من آيات نوح و دعوته العظيمة ما يفيد الجزم و اليقين بصدقه و صحة ما جاء به(١١١)

قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾

وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ

فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾

فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾

إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

فـــــ(قَالَ)نوح عليه السلام:(وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ)

أى أعمالهم و حسابهم على الله إنما علي التبليغ و أنتم دعوهم عنكم إن كان ما جئتكم به الحق فانقادوا له وكل له عمله ﴿١١٣﴾

(وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)كأنهم – قبحهم الله –طلبوا منه أن يطردهم عنه تكبرا و تجبرا ليؤمنوا فقال:–

(وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) فإنهم لا يستحقون الطرد و الإهانة و إنما يستحقون الإكرام القولى و الفعلى كما قال:–

(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)

كَأَنَّهُمْ سَأَلُوا مِنْهُ أَنْ يُبْعِدَهُمْ عَنْهُ لِيُتَابِعُوهُ فَأَبَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ﴿١١٤﴾

(إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ)أى ما أنا إلا منذر و مبلغ عن الله و مجتهد فى نصح العباد و ليس لى من الأمر شيء إن الأمر إلا لله . فاستمر نوح عليه السلام على دعوتهم ليلا و نهارا سرا و جهارا فلم يزدادوا إلا نفورا ﴿١١٥﴾

و (قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ)من دعوتك إيانا إلى الله وحده

(لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ)أي لنقتلك شر قتلة بالرمى بالحجارة كما يقتل الكلب

فتبا لهم ما أقبح هذه المقابلة يقابلون الناصح الأمين الذى هو أشفق عليهم من أنفسهم بشر مقابلة لا جرم لما انتهى ظلمهم و اشتد كفرهم دعا عليهم نبيهم بدعوة أحاطت بهم فقال:–(رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا

﴿١١٦﴾

و هنا ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾أى أهلك الباغى منا و هو يعلم أنهم البغاة الظلمة *كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى{فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ10 فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ11 وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ12وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ13 تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ} [الْقَمَرِ] و لهذا قال:—

﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾﴿١١٨﴾

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾أى السفينة ﴿الْمَشْحُونِ﴾المملوء من الخلق و الحيوانات﴿١١٩﴾

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾أى بعد نوح و من معه من المؤمنين

﴿الْبَاقِينَ﴾جميع قومه الذين لم يؤمنوا من قومه و ردُّوا عليه النصيحة﴿١٢٠﴾

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾أى نجاة نوح و أتباعه و إهلاك من كذبه

﴿لَآيَةً﴾ دالة على صدق رسلنا و صحة ما جاءوا به و بطلان ما عليه أعداؤهم المكذبون بهم .

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾﴿١٢١﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾الذى قهر بعزه أعداءه فأغرقهم بالطوفان

قصة هود 123-140

﴿الرَّحِيمُ﴾بأوليائه حيث نجى نوحا و من معه من أهل الإيمان﴿١٢٢﴾

﴿كَذَّبَتْ﴾القبيلة المسماة﴿عَادٌ﴾رسولهم هودا و تكذيبهم له تكذيب لغيره لاتفاق الدعوة.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾
وَ كَانُوا قَوْمًا يَسْكُنُونَ الْأَحْقَاف وَ هِيَ:-جِبَالُ الرَّمَلِ قَرِيبًا مِنْ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ مُتَاخِمَةً لِبِلَادِ الْيَمَن
وَ كَانَ زَمَانُهُمْ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ كَمَا قَالَ فِي "سُورَةِ الْأَعْرَاف":-
{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً} [الْأَعْرَاف:69]
وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي غَايَةٍ مِنْ قُوَّةِ التَّرْكِيبِ وَ الْقُوَّةِ وَ الْبَطْشِ الشَّدِيدِ وَ الطُّولِ الْمَدِيدِ وَ الْأَرْزَاقِ الدَّارَّةِ وَ الْأَمْوَالِ وَ الْجَنَّاتِ وَ الْعُيُونِ وَ الْأَبْنَاءِ وَ الزُّرُوعِ وَ الثِّمَارِ وَ كَانُوا مَعَ ذَلِكَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ مَعَهُ
فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ رَسُولًا وَ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَ حَذَّرَهُمْ نِقْمَتَهُ وَ عَذَابَهُ فِي مُخَالَفَتِهِ﴿١٢٣﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾فى النسب ﴿هُودٌ﴾بلطف و حسن خطاب:—

﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾الله فتتركون الشرك و عبادة غيره﴿١٢٤﴾

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾أى:أرسلنى الله إليكم رحمة بكم و اعتناء بكم و أنا أمين تعرفون ذلك منى﴿١٢٥﴾

رتب على ذلك قوله:(فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)أدوا حق الله تعالى و هو التقوى و أدوا حقى بطاعتى فيما آمركم به و أنهاكم عنه فهذا موجب لأن تتبعونى و تطيعونى و ليس ثَمَّ مانع يمنعكم من الإيمان﴿١٢٦﴾

(وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ)فلست أسألكم على تبليغى إياكم و نصحي لكم أجرا حتى تستثقلوا ذلك المغرم﴿١٢٧﴾

(إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)الذى رباهم بنعمه و أدرَّ عليهم فضله و كرمه خصوصا ما ربَّى به أولياءه و أنبياءه.

(أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ)مدخل بين الجبال_مكان مرتفع عِنْدَ جَوَادِّ الطُّرُقِ الْمَشْهُورَةِ

(ءَايَةٗ)علامة و بناء عاليًا مُحْكَمًا بَاهِرًا هَائِلًا تشرفون منه

(تَعۡبَثُونَ)؟فتسخرون مِنَ المارة_تفعلون ذلك عبثا لغير فائدة تعود بمصالح دينكم ودنياكم بَلْ لِمُجَرَّدِ اللَّعِبِ وَ اللَّهْوِ وَ إِظْهَارِ الْقُوَّةِ

وَ لِهَذَا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّهُمْﷺذَلِكَ لِأَنَّهُ تَضْيِيعٌ لِلزَّمَانِ وَ إِتْعَابٌ لِلْأَبْدَانِ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ وَ اشْتِغَالٌ بِمَا لَا يُجْدِي فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ﴿١٢٨﴾

(وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ)أى:–بركا و مجابى للحياة_الْبُرُوجُ الْمُشَيَّدَةُ وَ الْبُنْيَانُ الْمُخَلَّدُ_بروج الحمام.

(ما صُنع و أتقن فى بنائه كالقصور و الحصون و ليست المصانع التى تنتج الأجهزة و الآلات و المنافع و غيرها المعرفة الآن)

(لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ)و الحال أنه لا سبيل إلى الخلود لأحد﴿١٢٩﴾

(وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ)قتلا و ضربا و أخذ أموال

و كان الله تعالى قد أعطاهم قوة عظيمة و كان الواجب عليهم أن يستعينوا بقوتهم على طاعة الله و لكنهم فخروا و استكبروا و قالوا:-(مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)و استعملوا قوتهم فى معاصى الله و فى العبث و السفه فلذلك نهاهم نبيهم عن ذلك﴿١٣٠﴾

(فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)و اتركوا شرككم و بطركم (وَأَطِيعُونِ)حيث علمتم أنى رسول الله إليكم أمين ناصح﴿١٣١﴾

(وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم)أعطاكم(بِمَا تَعۡلَمُونَ)بما لا يجهل و لا ينكر من الإنعام﴿١٣٢﴾

(أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ)من إبل و بقر و غنم

(وَبَنِينَ)أى:و كثرة نسل كثر أموالكم و كثر أولادكم خصوصا الذكور أفضل القسمين﴿١٣٣﴾

(وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ)هذا تذكيرهم بالنعم﴿١٣٤﴾ثم ذكرهم حلول عذاب الله فقال:–

(إِنِّيٓ)من شفقتى عليكم و برى بكم –

(أَخَافُ)أن ينزل(عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ)إذا نزل لا يرد إن استمريتم على كفركم و بغيكم﴿١٣٥﴾

فــ(قَالُواْ)أى:–المعاندين للحق مكذبين لنبيهم: –

(سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ)الجميع على حد سواء و هذا غاية العتو

فإن قوما بلغت بهم الحال إلى أن صارت مواعظ الله التى تذيب الجبال الصم الصلاب و تتصدع لها أفئدة أولى الألباب وجودها و عدمها – عندهم– على حد سواء لقوم انتهى ظلمهم و اشتد شقاؤهم و انقطع الرجاء من هدايتهم

*أَىْ: لَا نَرْجِعُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ {وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} [هُودٍ:53]

وَ هَكَذَا الْأَمْرُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الْبَقَرَةِ:6]

وَ قَالَ تَعَالَى{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ96وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ}[يُونُسَ] ١٣٦

و لهذا قالوا:-

....

إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

(إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ)أى: هذه الأحوال و النعم و نحو ذلك عادة الأولين تارة يستغنون و تارة يفتقرون و هذه أحوال الدهر لا أن هذه محن و منح من الله تعالى و ابتلاء لعباده.

*دِينهُمْ وَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ هُوَ دِينُ الْأَوَائِلِ مِنَ الْآبَاءِ وَ الْأَجْدَادِ.
وَ نَحْنُ تَابِعُونَ لَهُمْ سَالِكُونَ وَرَاءَهُمْ نَعِيشُ كَمَا عَاشُوا وَ نَمُوتُ كَمَا مَاتُوا وَ لَا بَعْثَ وَ لَا مَعَادَ؛

(وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ)و هذا إنكار منهم للبعث أو تَنزُل مع نبيهم و تهكم به إننا على فرض أننا نبعث فإننا كما أدرَّت علينا النعم فى الدنيا كذلك لا تزال مستمرة علينا إذا بعثنا.

(فَكَذَّبُوهُ)أى: صار التكذيب سجية لهم و خلقا لا يردعهم عنه رادع

(فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ)(بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ* سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ)على صدق نبينا هود عليه السلام و صحة ما جاء به و بطلان ما عليه قومه من الشرك و الجبروت

(وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ)مع وجود الآيات المقتضية للإيمان

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ)الذي أهلك بقوته قوم هود على قوتهم و بطشهم

(ٱلرَّحِيمُ)بنبيه هود حيث نجاه و من معه من المؤمنين

(كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)(141 – 159) إلى آخر القصة.

***وَ هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عَبْدِهِ وَ رَسُولِهِ صَالِحٍ ﷺ:-
أَنَّهُ بَعَثَهُ إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ
وَ كَانُوا عَرَبًا يَسْكُنُونَ مَدِينَةَ الحجْرِ الَّتِي بَيْنَ وَادِي الْقُرَى وَ بِلَادِ الشَّامِ
وَ مَسَاكِنُهُمْ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ.
وَ قَدْ قَدَّمْنَا فِي "سُورَةِ الْأَعْرَافِ" الْأَحَادِيثَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مُرُورِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِهِمْ حِينَ أَرَادَ غَزْوَ الشَّامِ
فَوَصَلَ إِلَى تَبُوك ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَتَأَهَّبَ لِذَلِكَ.
وَ قَدْ كَانُوا بَعْدَ عَادٍ وَ قَبْلَ الْخَلِيلِ ﷺ
فَدَعَاهُمْ نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَ أَنْ يُطِيعُوهُ فِيمَا بَلَّغَهُمْ مِنَ الرِّسَالَةِ
فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَ كَذَّبُوهُ وَ خَالَفُوهُ.
فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَبْتَغِي بِدَعْوَتِهِمْ أَجْرًا مِنْهُمْ
وَ إِنَّمَا يَطْلُبُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

قصة صالح مع قومه 141-159

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ)

القبيلة المعروفة في مدائن الحجر

(ٱلْمُرْسَلِينَ)

كذبوا صالحا ﷺ الذي جاء بالتوحيد الذي دعت إليه المرسلون

فكان تكذيبهم له تكذيبا للجميع.

(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ)

في النسب برفق و لين:

(أَلَا تَتَّقُونَ)

الله تعالى و تدعون الشرك و المعاصي.

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ)

من الله ربكم أرسلني إليكم لطفا بكم و رحمة

فتلقوا رحمته بالقبول و قابلوها بالإذعان

(أَمِينٌ)

تعرفون ذلك مني و ذلك يوجب عليكم أن تؤمنوا بي و بما جئت به.

(فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)

(وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ)

فتقولون: يمنعنا من اتباعك أنك تريد أخذ أموالنا

(إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

أي: لا أطلب الثواب إلا منه.

(أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ)

***أَيْنَعَ و بَلَغ فَهُوَ هَضِيمٌ.
***عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:-مُعشبة.
***إِذَا رطُب وَ اسْتَرْخَى
***الرَّطْبُ اللَّيِّنُ.

❍أي نضيد كثير أي أتحسبون أنكم تتركون في هذه الخيرات و النعم سدى تتنعمون و تتمتعون كما تتمتع

الأنعام و تتركون سدى لا تؤمرون و لا تنهون

و تستعينون بهذه النعم على معاصي الله

(وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ)

***يَعْنِي: حَاذِقِينَ.
***وَ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: شَرِهِينَ أَشِرِينَ.
وَ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا؛
فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ تِلْكَ الْبُيُوتَ الْمَنْحُوتَةَ فِي الْجِبَالِ أَشَرًا وَ بَطَرًا وَ عَبَثًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى سُكْنَاهَا
وَ كَانُوا حَاذِقِينَ مُتْقِنِينَ لِنَحْتِهَا وَ نَقْشِهَا
كَمَا هُوَ الْمُشَاهَدُ مِنْ حَالِهِمْ لِمَنْ رَأَى مَنَازِلَهُمْ؛

❍أي بلغت بكم الفراهة و الحذق إلى أن اتخذتم بيوتا من الجبال الصم الصلاب

(فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ)

الذين تجاوزوا الحد

(ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ)

***رُؤَسَاءَهُمْ وَ كُبَرَاءَهُمْ الدُّعَاةَ لَهُمْ إِلَى الشِّرْكِ وَ الْكُفْرِ وَ مُخَالَفَةِ الْحَقِّ.

❍أي الذين وصفهم و دأبهم الإفساد في الأرض بعمل المعاصي و الدعوة إليها إفسادا لا إصلاح فيه

و هذا أضر ما يكون لأنه شر محض

و كأن أناسا عندهم مستعدون لمعارضة نبيهم موضعون في الدعوة لسبيل الغي فنهاهم صالح عن الاغترار بهم

و لعلهم الذين قال الله فيهم

(وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)

فلم يفد فيهم هذا النهي و الوعظ شيئا

فـــــ(قَالُوٓاْ)

لصالحعليه السلام

(إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ)

***المسحورين

❍أي قد سحرت فأنت تهذي بما لا معنى له

(مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا)

فأي فضيلة فقتنا بها حتى تدعونا إلى اتباعك؟

***فَكَيْفَ أُوحِيَ إِلَيْكَ دُونَنَا؟

كَمَا قَالُوا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ}[الْقَمَرِ: 25 26]

(فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)

هذا مع أن مجرد اعتبار حالته و حالة ما دعا إليه من أكبر الآيات البينات على صحة ما جاء به و صدقه و لكنهم من قسوتهم سألوا آيات الاقتراح التي في الغالب لا يفلح من طلبها لكون طلبه مبنيا على التعنت لا على الاسترشاد

فـــــ(قَالَ)

صالح

(هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ)

تخرج من صخرة صماء ملساء ترونها و تشاهدونها بأجمعكم

(لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ)

أي تشرب ماء البئر يوما

و أنتم تشربون لبنها ثم تصدر عنكم اليوم الآخر و تشربون أنتم ماء البئر

(وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ)

بعقر أو غيره

(فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ)

فخرجت و استمرت عندهم بتلك الحال فلم يؤمنوا و استمروا على طغيانهم

***فَحَذَّرَهُمْ نِقْمَةَ اللَّهِ إِنْ أَصَابُوهَا بِسُوءٍ

فَمَكَثَتِ النَّاقَةُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ تَرِدُ الْمَاءَ

وَ تَأْكُلُ الْوَرَقَ وَ الْمَرْعَى. وَ يَنْتَفِعُونَ بِلَبَنِهَا
يَحْتَلِبُونَ مِنْهَا مَا يَكْفِيهِمْ شُرْبًا وَ رِيًّا
فَلَمَّا طَالَ عليهم الأمد و حضر شقاؤهم تمالؤوا عَلَى قَتْلِهَا وَ عَقْرِهَا.

(فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ)

و هي صيحة نزلت عليهم فدمرتهم أجمعين
***وَ هُوَ أَنَّ أَرْضَهُمْ زُلزلت زِلْزَالًا شَدِيدًا
وَ جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ اقْتَلَعَتِ الْقُلُوبَ عَنْ مَحَالِّهَا
وَ أَتَاهُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ)

على صدق ما جاءت به رسلنا و بطلان قول معارضيهم

(وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

قصة لوط مع قومه 160-175

(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ)

قال لهم و قالوا كما قال من قبلهم تشابهت قلوبهم فى الكفر فتشابهت أقوالهم ﴿١٦٠﴾

(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ) ﴿١٦٣﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِهِ وَ رَسُولِهِ لُوطٍ عليه السلام وَ هُوَ: لُوطُ بْنُ هَارَانَ بْنِ آزَرَ وَ هُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ بَعَثَهُ إِلَى أُمَّةٍ عَظِيمَةٍ فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ
وَ كَانُوا يَسْكُنُونَ "سَدُومَ" وَ أَعْمَالَهَا الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ بِهَا وَ جَعَلَ مَكَانَهَا بُحَيْرَةً مُنْتِنَةً خَبِيثَةً وَ هِيَ مَشْهُورَةٌ بِبِلَادِ الْغَوْرِ مُتَاخِمَةٌ لِجِبَالِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ بِلَادِ الكَرَك و الشَّوبَك
فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ أَنْ يُطِيعُوا رَسُولَهُمْ الَّذِى بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ

(وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) ﴿١٦٤﴾

(أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ) وَ نَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَ ارْتِكَابِ مَا كَانُوا قَدِ ابْتَدَعُوهُ فِي الْعَالَمِ مِمَّا لَمْ يَسْبِقْهُمُ الْخَلَائِقُ إِلَى فِعْلِهِ مِنْ إِتْيَانِ الذكْران دُونَ الْإِنَاثِ يرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم و عدوانهم فلم يزل ينهاهم ﴿١٦٥﴾

(وَتَذَرُونَ) تتركون (مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم) لاستمتاعكم و تناسلكم (مِّنْ أَزْوَٰجِكُم)

(بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ) بهذه المعصية-(عَادُونَ) متجاوزون ما أباحه الله لكم من الحلال إلى الحرام ﴿١٦٦﴾

(قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ) من البلد

*كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}[الأَعْرَافِ:82]﴿١٦٧﴾

*فلما رأى استمرارهم عليه(قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ)المبغضين له الناهين عنه المحذرين﴿١٦٨﴾

(رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ)من فعله و عقوبته فاستجاب الله له﴿١٦٩﴾

(فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ)الباقين فى العذاب و هى امرأته.

*وَ كَانَتْ عَجُوزَ سُوءٍ بَقِيَتْ فَهَلَكَتْ مَعَ مَنْ بَقِيَ مِنْ قَوْمِهَا وَ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي "سُورَةِ الْأَعْرَافِ" وَ"هُودٍ"وَ كَذَا فِي "الحِجْرِ" حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَسْرِيَ بِأَهْلِهِ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَ أَنَّهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِذَا سَمِعُوا الصَّيْحَةَ حِينَ تَنْزِلُ عَلَى قَوْمِهِ فَصَبَرُوا لِأَمْرِ اللَّهِ وَ اسْتَمَرُّوا وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى أُولَئِكَ الْعَذَابَ الَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ وَ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴿١٧١﴾وَ لِهَذَا قَالَ:-

(ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا)حجارة من سجيل

(فَسَآءَ)فقبُحَ(مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ)من أنذرهم رسلهم و لم يستجيبوا لهم فقد أُنزل بهم أشدُّ أنواع الهلاك و التدمير أهلكهم الله عن آخرهم﴿١٧٣﴾

قصة شعيب مع قومه 176-191

(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)﴿١٧٥﴾

(كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ)البساتين الملتفة أشجارها(ٱلْمُرْسَلِينَ)و هم أصحاب مدين

فكذبوا نبيهم شعيبا الذي جاء بما جاء به المرسلون.

*هَؤُلَاءِ -أَعْنِي أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ -هُمْ أَهْلُ مَدْيَنَ عَلَى الصَّحِيحِ. وَ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ شُعَيْبٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ إِنَّمَا لَمْ يَقُلْ هُنَا أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ لِأَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَيْكَةِ وَ هِيَ شَجَرَةٌ.

وَ قِيلَ: شَجَرٌ مُلْتَفٌّ كالغَيضة كَانُوا يَعْبُدُونَهَا

فَلِهَذَا لَمَّا قَالَ:-كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ لَمْ يَقِلْ:-"إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ"

وَ إِنَّمَا قَالَ: {إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ} فَقَطَعَ نِسْبَةَ الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ لِلْمَعْنَى الَّذِى نُسِبُوا إِلَيْهِ وَ إِنْ كَانَ أَخَاهُمْ نَسَبًا.

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَتَفَطَّنْ لِهَذِهِ النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أَهْلِ مَدْيَنَ فَزَعَمَ أَنَّ شُعَيْبًا عليه السلام بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أُمَّتَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ثَلَاثِ أُمَمٍ.وَ الصَّحِيحُ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وُصِفُوا فِي كُلِّ مَقَامٍ بِشَيْءٍ

وَ لِهَذَا وَعَظَ هَؤُلَاءِ وَ أَمَرَهُمْ بِوَفَاءِ الْمِكْيَالِ وَ الْمِيزَانِ كَمَا فِي قِصَّةِ مَدْيَنَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴿١٧٦﴾

(إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ)الله تعالى فتتركون ما يسخطه و يغضبه من الكفر و المعاصى﴿١٧٧﴾

(إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) يترتب على ذلك أن تتقوا الله و تطيعون﴿١٧٨﴾

(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)﴿١٨٠﴾

و كانوا – مع شركهم –يبخسون المكاييل و الموازين فلذلك قال لهم:–

(أَوۡفُواْ)أتموا و أكملوا(ٱلۡكَيۡلَ)

(وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ)الذين ينقصون الناس أموالهم و يسلبونها ببخس المكيال و الميزان﴿١٨١﴾

(وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ)بالميزان العادل الذى لا يميل﴿١٨٢﴾

(وَلَا تَبۡخَسُواْ)تنقصوا(ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ)يَعْنِى: قَطْعَ الطَّرِيقِ كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:-

{وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ} [الْأَعْرَافِ:86]﴿١٨٣﴾

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

(وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ)الخليقة(ٱلْأَوَّلِينَ)فكما انفرد بخلقكم و خلق من قبلكم من غير مشارك له فى ذلك فأفردوه بالعبادة و التوحيد و كما أنعم عليكم بالإيجاد و الإمداد بالنعم فقابلوه بشكره﴿١٨٤﴾

(قَالُوٓاْ)له مكذبين له رادين لقوله:-

(إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ)فأنت تهذى و تتكلم كلام المسحور الذى غايته أن لا يؤاخذ به﴿١٨٥﴾

(وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا)فليس فيك فضيلة اختصصت بها علينا حتى تدعونا إلى اتباعك

و هذا مثل قول من قبلهم و من بعدهم ممن عارضوا الرسل بهذه الشبهة التي لم يزالوا يدلون بها و يصولون و يتفقون عليها لاتفاقهم على الكفر و تشابه قلوبهم. و قد أجابت عنها الرسل بقولهم:-

(إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)

(وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ)و هذا جراءة منهم و ظلم و قول زور قد انطووا على خلافه

فإنه ما من رسول من الرسل واجه قومه و دعاهم و جادلهم و جادلوه إلا و قد أظهر الله على يديه من الآيات ما به يتيقنون صدقه و أمانته خصوصا شعيبا عليه السلام الذى يسمى خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه و مجادلتهم بالتى هى أحسن فإن قومه قد تيقنوا صدقه و أن ما جاء به حق و لكن إخبارهم عن ظن كذبه كذب منهم﴿١٨٦﴾

(فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا)قطع من العذاب(مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)تستأصلنا(إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ) كقول إخوانهم

(وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

أو أنهم طلبوا بعض آيات الاقتراح التى لا يلزم تتميم مطلوب من سألها(١٨٧)

(قَالَ)شعيب عليه السلام:–(رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ)مِنَ:-الشرك و المعاصى و بما تستوجبونه من العقاب.

*أى:–نزول العذاب و وقوع آيات الاقتراح لست أنا الذي آتى بها و أنزلها بكم و ليس على إلا تبليغكم و نصحكم و قد فعلت و إنما الذى يأتى بها ربى العالم بأعمالكم و أحوالكم الذى يجازيكم و يحاسبكم(١٨٨)

(فَكَذَّبُوهُ)صار التكذيب لهم وصفا والكفر لهم ديدنا بحيث لا تفيدهم الآيات وليس بهم حيلة إلا نزول العذاب

(فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ)

أظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها مستلذين لظلها غير الظليل فأحرقتهم بالعذاب فظلوا تحتها خامدين و لديارهم مفارقين و لدار الشقاء و العذاب نازلين.

*وَ هَذَا مِنْ جِنْسِ مَا سَأَلُوا مِنْ إِسْقَاطِ الْكِسَفِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى جَعَلَ عُقُوبَتَهُمْ أَنْ أَصَابَهُمْ حَرٌّ شَدِيدٌ جِدًّا مُدَّةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ لَا يَكُنُّهم منه شيء

1-ثم أَقْبَلَتْ إِلَيْهِمْ سَحَابَةٌ أَظَلَّتْهُمْ فَجَعَلُوا يَنْطَلِقُونَ إِلَيْهَا يَسْتَظِلُّونَ بِظِلِّهَا مِنَ الْحَرِّ

2-فَلَمَّا اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ تَحْتَهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَرَرًا مِنْ نَارٍ وَ لَهَبًا وَ وَهَجًا عَظِيمًا

3-وَ رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ وَ جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ أَزْهَقَتْ أَرْوَاحَهُمْ؛

(إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ)

لا كرة لهم إلى الدنيا فيستأنفوا العمل و لا يفتر عنهم العذاب ساعة و لا هم ينظرون(١٨٩)

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ)دالة على صدق شعيب و صحة ما دعا إليه و بطلان رد قومه عليه

(وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ)

مع رؤيتهم الآيات لأنهم لا زكاء فيهم ولا خير لديهم(وَمَا أَكۡثَرُ النَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ)(١٩٠)

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ)الذى امتنع بقدرته عن إدراك أحد و قهر كل مخلوق

و من عزته:–أن أهلك أعداءه حين كذبوا رسله

(ٱلرَّحِيمُ)الذى الرحمة وصفه و من آثارها جميع الخيرات فى الدنيا و الآخرة من حين أوجد الله العالم إلى ما لا نهاية له. و من رحمته:– أن نجى أولياءه و من اتبعهم من المؤمنين(١٩١)

*لما ذكر قصص الأنبياء مع أممهم و كيف دعوهم و ما ردوا عليهم به؛ و كيف أهلك الله أعداءهم و صارت لهم العاقبة ذكر هذا الرسول الكريم و النبى المصطفى العظيم و ما جاء به من الكتاب الذي فيه هداية لأولى الألباب فقال:–(وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

فالذي أنزله فاطر الأرض و السماوات المربى جميع العالم العلوى و السفلى و كما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دنياهم و أبدانهم

فإنه يربيهم أيضا بهدايتهم لمصالح دينهم و أخراهم و من أعظم ما رباهم به إنزال هذا الكتاب الكريم الذى اشتمل على الخير الكثير و البر الغزير و فيه من الهداية لمصالح الدارين و الأخلاق الفاضلة ما ليس فى غيره و فى قوله:–

القرآن و موقف المشركين منه 192-212

(وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

من تعظيمه و شدة الاهتمام فيه من كونه نزل من الله لا من غيره مقصودا فيه نفعكم و هدايتكم ﴿١٩٢﴾

(نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ)و هو جبريل عليه السلام الذى هو أفضل الملائكة و أقواهم

(ٱلۡأَمِينُ)الذى قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص﴿١٩٣﴾

(عَلَىٰ قَلۡبِكَ)يا محمد حتى وعيته بقلبك حفظًا و فهمًا

(لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ)تهدى به إلى طريق الرشاد و تنذر به عن طريق الغى بَأْسَ اللّٰهِ وَ نِقْمَتِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَ كَذَّبَهُ وَ تُبَشِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ﴿١٩٤﴾

(بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ)و هو أفضل الألسنة بلغة من بعث إليهم و باشر دعوتهم أصلا اللسان البين الواضح.

*لِيَكُونَ بَيِّنًا وَاضِحًا ظَاهِرًا قَاطِعًا لِلْعُذْرِ مُقِيمًا لِلْحُجَّةِ دَلِيلًا إِلَى الْمَحَجَّةِ.

*و تأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة فى هذا الكتاب الكريم فإنه أفضل الكتب نزل به أفضل الملائكة على أفضل الخلق على أفضل بضعة فيه و هى قلبه على أفضل أمة أخرجت للناس بأفضل الألسنة و أفصحها و أوسعها و هو:–اللسان العربى المبين﴿١٩٥﴾

(وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ)كتب هِيَ جَمْعُ زَبُور وَ كَذَلِكَ الزَّبُورُ وَ هُوَ كِتَابُ دَاوُدَ.وَ قَالَ تَعَالَى{وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ} [القَمَر:52] أَيْ: مَكْتُوبٌ عَلَيْهِمْ فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ.

(ٱلۡأَوَّلِينَ)قد بشرت به و صدقته و هو لما نزل طبق ما أخبرت به صدقها بل جاء بالحق و صدق المرسلين﴿١٩٦﴾

(أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً)على صحته و أنه من الله(أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)الذى قد انتهى إليهم العلم و صاروا أعلم الناس و هم أهل الصنف فإن كل شيء يحصل به اشتباه يرجع فيه إلى أهل الخبرة و الدراية فيكون قولهم حجة على غيرهم كما عرف السحرة الذين مهروا فى علم السحر صدق معجزة موسى و أنه ليس بسحر فقول الجاهلين بعد هذا لا يؤبه به.

*أو ليس يَكْفِيهِمْ مِنَ الشَّاهِدِ الصَّادِقِ عَلَى ذَلِكَ:-

أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ يَجِدُونَ ذِكْرَ هَذَا الْقُرْآنِ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي يَدْرُسُونَهَا؟

وَ الْمُرَادُ: الْعُدُولُ مِنْهُمُ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَ مَبْعَثِهِ وَ أُمَّتِهِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ مَنْ آمَنُ مِنْهُمْ كَعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ سَلَامٍ وَ سَلْمَانِ الْفَارِسِيِّ عَمَّنْ أَدْرَكَهُ مِنْهُمْ و مَنْ شَاكَلَهُمْ.

وَ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ}[الأَعْرَاف:157]

*ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ شِدَّةِ كُفْرِ قُرَيْشٍ وَ عِنَادِهِمْ لِهَذَا الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَوْ أَنْزَلَهُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعَاجِمِ مِمَّنْ لَا يَدْرِي مِنَ الْعَرَبِيَّةِ كَلِمَةً وَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ بِبَيَانِهِ وَ فَصَاحَتِهِ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴿١٩٧﴾

(وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ)الذين لا يفقهون لسانهم و لا يقدرون على التعبير لهم كما ينبغى﴿١٩٨﴾

(فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ)

يقولون: ما نفقه ما يقول و لا ندرى ما يدعو إليه فليحمدوا ربهم أن جاءهم على لسان أفصح الخلق و أقدرهم على التعبير عن المقاصد بالعبارات الواضحة و أنصحهم و ليبادروا إلى التصديق به و تلقيه بالتسليم و القبول و لكن تكذيبهم له من غير شبهة إن هو إلا محض الكفر والعناد و أمر قد توارثته الأمم المكذبة﴿١٩٩﴾

فلهذا قال:–(كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ)أدخلنا التكذيب و أنظمناه(فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ)أهل الإجرام كما يدخل السلك فى الإبرة فتشربته و صار وصفا لها و ذلك بسبب ظلمهم و جرمهم﴿٢٠٠﴾فلذلك:–

(لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ)على تكذيبهم﴿٢٠١﴾

(فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً)على حين غفلة

(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)بعدم إحساس منهم و لا استشعار بنزوله ليكون أبلغ في عقوبتهم و النكال بهم﴿٢٠٢﴾

(فَيَقُولُوا۟)إذ ذاك:–

(هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ)أى: يطلبون أن ينظروا و يمهلوا و الحال إنه قد فات الوقت و حل بهم العذاب الذى لا يرفع عنهم و لا يفتر ساعة.

*يَتَمَنَّوْنَ حِينَ يُشَاهِدُونَ الْعَذَابَ أَنْ لَوْ أُنْظِرُوا قَلِيلًا لِيَعْمَلُوا مِنْ فَزَعِهِمْ بِطَاعَةِ اللّٰهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} [إِبْرَاهِيمَ:44]

فَكُلُّ ظَالِمٍ وَ فَاجِرٍ وَ كَافِرٍ إِذَا شَاهَدَ عُقُوبَتَهُ نَدِمَ نَدَمًا شَدِيدًا هَذَا فِرْعَوْنُ لَمَّا دَعَا عَلَيْهِ الْكَلِيمُ بِقَوْلِهِ:-

{رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ88قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[يُونُس]

فَأَثَّرَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ فِي فِرْعَوْنَ فَمَا آمَنَ حَتَّى رَأَى الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

{حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ90آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}[يُونُس]

وَ قَالَ:{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ84 فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}[غَافِر]﴿٢٠٣﴾

(أَفَبِعَذَابِنَا)الذى هو العذاب الأليم العظيم الذى لا يستهان به و لا يحتقر

(يَسۡتَعۡجِلُونَ)فما الذى غرهم؟ هل فيهم قوة و طاقة للصبر عليه؟

أم عندهم قوة يقدرون على دفعه أو رفعه إذا نزل؟ أم يعجزوننا و يظنون أننا لا نقدر على ذلك؟﴿٢٠٤﴾

(أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ)إذا لم نستعجل عليهم بإنزال العذاب و أمهلناهم عدة سنين يتمتعون فى الدنيا﴿٢٠٥﴾

(ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ)من العذاب﴿٢٠٦﴾

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

(مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ)من اللذات و الشهوات أى:أى شيء يغنى عنهم و يفيدهم و قد مضت و بطلت و اضمحلت و أعقبت تبعاتها و ضوعف لهم العذاب عند طول المدة.

القصد أن الحذر من وقوع العذاب و استحقاقهم له.و أما تعجيله و تأخيره فلا أهمية تحته و لا جدوى عنده.

*لَوْ أَخَّرْنَاهُمْ وَ أَنْظَرْنَاهُمْ وَ أَمْلَيْنَا لَهُمْ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ وَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ وَ إِنْ طَالَ ثُمَّ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ أَيَّ شَيْءٍ يُجْدِي عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}[النَّازِعَاتِ:46]وَ قَالَ:-

{يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ}[الْبَقَرَةِ:96] وَ قَالَ{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} [اللَّيْلِ:11]

*مسلم (2807) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-
يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً(يغمس غمسة)ثُمَّ يُقَالُ:-
يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟فَيَقُولُ:-
لَا وَ اللهِ يَا رَبِّ وَ يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا(البؤس هو الشدة)فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ
فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟
فَيَقُولُ: لَا وَ اللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَ لَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ

(وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ)يخبر تعالى عن كمال عدله فى إهلاك المكذبين

و أنه ما أوقع بقرية هلاكا و عذابا إلا بعد:-

1-أن يعذر بهم 2-و يبعث فيهم النذر بالآيات البينات 3-و يدعونهم إلى الهدى

4-و ينهونهم عن الردى 5-و يذكرونهم بآيات الله 6-و ينبهونهم على أيامه في نعمه و نقمه﴿٢٠٨﴾

(ذِكۡرَىٰ)لهم و إقامة حجة عليهم

(وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ)فنهلك القرى قبل أن ننذرهم و نأخذهم و هم غافلون عن النذر كما قال تعالى:-

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ و قَالَ:-

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) [الْقَصَص:59] ﴿٢٠٩﴾

*و لما بيَّن تعالى كمال القرآن و جلالته:—نزهه عن كل صفة نقص و حماه – وقت نزوله و بعد نزوله – من شياطين الجن و الإنس فقال:–

(وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ)لا يليق بحالهم و لا يناسبهم

(وَمَا يَسْتَطِيعُونَ)ذلك﴿٢١١﴾(إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ)

قد أبعدوا عنه و أعدت لهم الرجوم لحفظه و نزل به جبريل أقوى الملائكة الذي لا يقدر شيطان أن يقربه أو يحوم حول ساحته و هذا كقوله:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

*كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِراً عَنِ الْجِنِّ:{وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا 8 وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا 9 وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الْجِنّ] ﴿٢١٢﴾

ارشادات إلهية للنبى ﷺ 213-220

(فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ)

ينهى تعالى رسوله أصلا و أمته أسوة له فى ذلك عن دعاء غير الله من جميع المخلوقين و أن ذلك موجب للعذاب الدائم و العقاب السرمدى لكونه شركا(وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ)

*و النهى عن الشيء أمر بضده النهى عن الشرك أمرٌ بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له:- محبة و خوفا و رجاء و ذلا و إنابة إليه في جميع الأوقات ﴿٢١٣﴾

و لما أمره بما فيه كمال نفسه أمره بتكميل غيره فقال:–

(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ)الذين هم أقرب الناس إليك و أحقهم بإحسانك الدينى و الدنيوى و هذا لا ينافى أمره بإنذار جميع الناس كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان ثم قيل له « أحسن إلى قرابتك » فيكون هذا خصوصا دالا على التأكيد و زيادة الحق فامتثل ﷺ هذا الأمر الإلهى فدعا سائر بطون قريش فعمم و خصص و ذكرهم و وعظهم و لم يُبْق ﷺمن مقدوره شيئا من نصحهم و هدايتهم إلا فعله فاهتدى من اهتدى و أعرض من أعرض.

*وَ هَذِهِ النِّذارة الْخَاصَّةُ لَا تُنَافِي الْعَامَّةَ بَلْ هِيَ فَرْدٌ مِنْ أَجْزَائِهَا كَمَا قَالَ:-{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} [يس:6]وَ قَالَ:{لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشُّورَى:7]وَ قَالَ{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ} [الأَنْعَام:51] وَ قَالَ:- {لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مَرْيَم: 97] وَ قَالَ{لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأَنْعَام:19]كَمَا قَالَ:- {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} [هُود: 17]

*مسلم (153)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:-

«وَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَ لَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»

*البخارى4801-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺالصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهْ» (كلمة تقال للإشعار بإغارة العدو لأن الغالب في الإغارة أن تكون وقت الصباح كما يقولها من أصابه شيء مكروه للاستغاثة)فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا:- مَا لَكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟»قَالُوا:-بَلَى قَالَ:- «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ:-تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:-{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد: 1]﴿٢١٤﴾

(وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾)

بلين جانبك و لطف خطابك لهم و توددك و تحببك إليهم و حسن خلقك و الإحسان التام بهم

و قد فعل ﷺ ذلك كما قال تعالى:-

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ

فهذه أخلاقه ﷺ أكمل الأخلاق التي يحصل بها من المصالح العظيمة و دفع المضار ما هو مشاهد

فهل يليق بمؤمن بالله و رسوله و يدعى اتباعه و الاقتداء به أن يكون كلا على المسلمين شرس الأخلاق شديد الشكيمة عليهم غليظ القلب فظ القول فظيعه؟

و إن رأى منهم معصية أو سوء أدب هجرهم و مقتهم و أبغضهم لا لين عنده و لا أدب لديه و لا توفيق قد حصل من هذه المعاملة من المفاسد و تعطيل المصالح ما حصل

و مع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم و قد رماه بالنفاق و المداهنة

و قد كمَّل نفسه و رفعها و أعجب بعمله فهل هذا إلا من جهله و تزيين الشيطان و خدعه له و لهذا قال الله لرسوله:–

(فَإِنۡ عَصَوۡكَ)فى أمر من الأمور فلا تتبرأ منهم و لا تترك معاملتهم بخفض الجناح و لين الجانب بل:–

1–تبرأ من عملهم فعظهم عليه و انصحهم

2–و ابذل قدرتك في ردهم عنه و توبتهم منه و هذا لدفع احتراز وهم من يتوهم أن قوله

(وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ)للمؤمنين يقتضى الرضاء بجميع ما يصدر منهم ما داموا مؤمنين فدفع هذا بهذا و الله أعلم﴿٢١٦﴾

*أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به الاعتماد على ربه و الاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال:–

(وَتَوَكَّلۡ)و التوكل:–

هو اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع و دفع المضار مع ثقته به و حسن ظنه بحصول مطلوبه

(عَلَى ٱلۡعَزِيزِ)بعزته-يقدر على إيصال الخير و دفع الشر عن عبده(ٱلرَّحِيمِ)و برحمته به:-يفعل ذلك(٢١٧)
ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله و النزول فى منزل الإحسان فقال:-

(ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ)هُوَ مُعْتَنٍ بِكَ كَمَا قَالَ:-{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطُّور:48]
أى: يراك فى هذه العبادة العظيمة التى هى الصلاة وقت قيامك و تقلبك راكعا(٢١٨)

(وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ)خصها بالذكر لفضلها و شرفها و لأن من استحضر فيها قرب ربه خشع و ذل و أكملها و بتكميلها يكمل سائر عمله و يستعين بها على جميع أموره(٢١٩)

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ)لسائر الأصوات على اختلافها و تشتتها و تنوعها

(ٱلۡعَلِيمُ)الذى أحاط بالظواهر و البواطن و الغيب و الشهادة.

فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع أحواله و سمعه لكل ما ينطق به و علمه بما ينطوي عليه قلبه من الهم و العزم و النيات مما يعينه على منزلة الإحسان. كَمَا قَالَ:-

{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} [يونس:61] (٢٢٠)

*هذا جواب لمن قال من مكذبى الرسول:-إن محمدا ينزل عليه شيطان. و قول من قال: إنه شاعر فقال:-

(هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ)أخبركم الخبر الحقيقى الذي لا شك فيه و لا شبهة

(عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ)بصفة الأشخاص الذين تنزل عليهم الشياطين(٢٢١)

(تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ)أى: كذاب كثير القول للزور و الإفك بالباطل

(أَثِيمٍ)فى فعله كثير المعاصى هذا الذى تنزل عليه الشياطين و تناسب حاله حالهم(٢٢٢)

الرد على تهديد المشركين و تهديدهم 221-227

(يُلۡقُونَ)عليه (ٱلسَّمۡعَ)الذى يسترقونه من السماء

(وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ)أى:أكثر ما يلقون إليه كذب فيصدق واحدة و يكذب معها مائة فيختلط الحق بالباطل و يضمحل الحق بسبب قلته و عدم علمه.

فهذه صفة الأشخاص الذين تنزل عليهم الشياطين و هذه صفة وحيهم له.

*يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ مِنَ السَّمَاءِ فَيَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ ثُمَّ يُلْقُونَهَا إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ فَيَتَحَدَّثُونَ بِهَا فَيُصَدِّقُهُمُ النَّاسُ فِي كُلِّ مَا قَالُوهُ بِسَبَبِ صِدْقِهِمْ فِي تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِى سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ

*البخارى7561 - عن عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:-سَأَلَ أُنَاسٌ النَّبِيَّ ﷺعَنِ الكُهَّانِ فَقَالَ:-

«إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ»فَقَالُوا:-يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا قَالَ:-فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

«تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيُقَرْقِرُهَا(من القرقرة وهو الوضع في الأذن بالصوت والقر الوضع فيها بدون صوت)فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ(كصوتها)فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ

*البخارى4800 -عن أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺقَالَ:إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ:-
الحَقَّ وَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ وَ مُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ-وَ وَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَ بَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ-فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا
وَ رُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ فَيُقَالُ:-
أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَ كَذَا: كَذَا وَ كَذَا فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ "

*و أما محمد ﷺ فحاله مباينة لهذه الأحوال أعظم مباينة لأنه:–الصادق الأمين البار الراشد

الذى جمع بين:–بر القلب و صدق اللهجة و نزاهة الأفعال من المحرم.

*و الوحى الذى ينزل عليه من عند الله ينزل محروسا محفوظا مشتملا على الصدق العظيم الذى لا شك فيه و لا ريب فهل يستوى – يا أهل العقول – هذا و أولئك؟

و هل يشتبهان إلا على مجنون لا يميز و لا يفرق بين الأشياء؟(٢٢٣)

فلما نزهه عن نزول الشياطين عليه برَّأه أيضا من الشعر فقال:–

(وَٱلشُّعَرَآءُ)أى: هل أنبئكم أيضا عن حالة الشعراء و وصفهم الثابت فإنهم

(يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ)

عن طريق الهدى المقبلون على طريق الغى و الردى فهم فى أنفسهم غاوون و تجد أتباعهم كل غاو ضال فاسد (٢٢٤)

(أَلَمْ تَرَ)تشاهد غوايتهم و شدة ضلالهم(أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ)من أودية الشعر

(يَهِيمُونَ)فتارة فى مدح و تارة فى قدح و تارة فى صدق و تارة فى كذب و تارة يتغزلون و أخرى يسخرون

و مرة يمرحون و آونة يحزنون فلا يستقر لهم قرار و لا يثبتون على حال من الأحوال(٢٢٥)

(وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)هذا وصف الشعراء أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم

فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق قلت: هذا أشد الناس غراما و قلبه فارغ من ذاك

*و إذا سمعته يمدح أو يذم قلت: هذا صدق و هو كذب

*و تارة يتمدح بأفعال لم يفعلها و تروك لم يتركها و كرم لم يحم حول ساحته و شجاعة يعلو بها على الفرسان و تراه أجبن من كل جبان هذا وصفهم.

فانظر هل يطابق حالة الرسول محمد ﷺالراشد البار الذى يتبعه كل راشد و مهتد الذى قد استقام على الهدى

و جانب الردى و لم تتناقض أفعاله و لم تخالف أقواله أفعاله؟

الذى لا يأمر إلا بالخير و لا ينهى إلا عن الشر و لا أخبر بشيء إلا صدق

و لا أمر بشيء إلا كان أول الفاعلين له و لا نهى عن شيء إلا كان أول التاركين له.

فهل تناسب حاله حالة الشعراء أو يقاربهم؟ أم هو مخالف لهم من جميع الوجوه؟

فصلوات الله و سلامه على هذا الرسول الأكملو الهمام الأفضل أبد الآبدين و دهر الداهرين الذى ليس بشاعر و لا ساحر و لا مجنون و لا يليق به إلا كل كمال.

*مسلم (2257)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:-قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا»قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِلَّا أَنَّ حَفْصًا لَمْ يَقُلْ «يَرِيهِ»

(قال أهل اللغة والغريب يريه من الورى وهو داء يفسد الجوف ومعناه قيحا يأكل جوفه ويفسده قال أبو عبيد قال بعضهم المراد بهذا الشعر شعر هجي به النبيﷺ قال أبو عبيد والعلماء كافة هذا تفسير فاسد لأنه يقتضي أن المذموم من الهجاء ما يمتلئ منه الجوف دون قليله وقد أجمع المسلمون على أن الكلمة الواحدة من هجاء النبيﷺ موجبة للكفر قالوا بل الصواب أن المراد أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من أي شعر كان فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئا شعرا)(٢٣٦)

*و لما وصف الشعراء بما وصفهم به:–

استثنى منهم من آمن بالله و رسوله و عمل صالحا و أكثر من ذكر الله و انتصر من أعدائه المشركين من بعد ما ظلموهم. فصار شعرهم من أعمالهم الصالحة و آثار إيمانهم لاشتماله على:–

مدح أهل الإيمان و الانتصار من أهل الشرك و الكفر و الذب عن دين الله و تبيين العلوم النافعة و الحث على الأخلاق الفاضلة فقال:–

(إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا)هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِمَّا تَقَدَّمَ.
وَ لَا شَكَّ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ وَ لَكِنَّ هَذَا الِاسْتِثْنَاءَ يَدْخُلُ فِيهِ شُعَرَاءُ الْأَنْصَارِ وَ غَيْرُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ مَنْ كَانَ مُتَلَبِّسًا مِنْ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ بِذَمِّ الْإِسْلَامِ وَ أَهْلِهِ ثُمَّ تَابَ وَ أَنَابَ وَ رَجَعَ وَ أَقْلَعَ وَ عَمِلَ صالحًا و ذكر الله كثيرًا فِي مُقَابَلَةِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

(وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ)يَرُدُّونَ عَلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا يَهْجُونَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ

*البخارى6153 - عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ لِحَسَّانَ:-اهْجُهُمْ- أَوْ قَالَ:هَاجِهِمْ – وَ جِبْرِيلُ مَعَكَ
*أحمد 27174 - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:-
إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَنْزَلَ فِي الشِّعْرِ مَا أَنْزَلَ فَقَالَ:-
إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَ لِسَانِهِ وَ الَّذِى نَفْسى بِيَدِهِ لَكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ "

(وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ)وَ الصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ ظَالِمٍ

(أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ)ينقلبون إلى موقف و حساب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها و لا حقا إلا استوفاه.

*كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر:52]

*مسلم (2578) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:-

«اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(قال القاضي قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلا حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي شدائدهما ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات)

وَ اتَّقُوا الشُّحَّ(القاضي يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم ويحتمل أنه هلاك الآخرة وهذا الثاني أظهر ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة قال جماعة الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل وقيل هو البخل مع الحرص وقيل البخل في أفراد الأمور والشح عام وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده)

فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَ اسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٢٣٧)

27-سورة النمل-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾

القرآن مبشر للمؤمنين و منذر للكافرين 1-6

(طسٓۚ)

ينبه تعالى عباده على عظمة القرآن و يشير إليه إشارة دالة على التعظيم فقال:-

(تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ)فالقرآن هو الكتاب جمع الله له بين الاسمين.

*أى:هى أعلى الآيات و أقوى البينات و أوضح الدلالات و بينها على:-

أجل المطالب و أفضل المقاصد و خير الأعمال و أزكى الأخلاق آيات تدل على الأخبار الصادقة و الأوامر الحسنة و النهى عن كل عمل وخيم و خلق ذميم

آيات بلغت في وضوحها و بيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار آيات دلت على الإيمان و دعت للوصول إلى الإيقان و أخبرت عن الغيوب الماضية و المستقبلة على طبق ما كان و يكون.

آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى و صفاته العليا و أفعاله الكاملة

آيات عرفتنا برسله و أوليائه و وصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا

و لكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين و لم يهتد بها جميع المعاندين صونا لها عن من لا خير فيه و لا صلاح و لا زكاء فى قلبه

و إنما اهتدى بها من خصهم الله بالإيمان و استنارت بذلك قلوبهم و صفت سرائرهم﴿١﴾فلهذا قال:-

(هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ)أى: تهديهم إلى سلوك الصراط المستقيم و تبين لهم:-

ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركوه و تبشرهم بثواب الله المرتب على الهداية لهذا الطريق.

ربما قيل: لعله يكثر مدعو الإيمان فهل يقبل من كل أحد ادعى أنه مؤمن ذلك؟

أم لا بد لذلك من دليل؟ و هو الحق ﴿٢﴾فلذلك بين تعالى صفة المؤمنين فقال:–

(ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ)فرضها و نفلها فيأتون بأفعالها الظاهرة من أركانها و شروطها و واجباتها بل و مستحباتها و أفعالها الباطنة و هو الخشوع الذى روحها و لبها باستحضار قرب الله و تدبر ما يقول المصلى و يفعله.

(وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ)المفروضة لمستحقيها.

(وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ)أى:–قد بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين و هو:–

العلم التام الواصل إلى القلب الداعى إلى العمل.

و يقينهم بالآخرة يقتضى كمال سعيهم لها و حذرهم من أسباب العذاب و موجبات العقاب و هذا أصل كل خير ﴿٣﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ)و يكذبون بها و يكذبون من جاء بإثباتها

(زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ)

حسَّنَّا لهم أعمالهم السيئة فرأوها حسنة قد انقلبت عليهم الحقائق فرأوا الباطل حقا و الحق باطلا.

(فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ)حائرين مترددين مؤثرين سخط الله على رضاه كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

(وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [الأنعام: 110] ﴿٤﴾

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ)أشد و أعظم(ٱلۡعَذَابِ)

(وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ)

حصر الخسار فيهم لكونهم خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة و خسروا الإيمان الذى دعتهم إليه الرسل﴿٥﴾

(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى)لتأخذ(ٱلۡقُرۡءَانَ)أى:و إن هذا القرآن الذى يُنَزِّلُ عليك و تتلقفه و تتلقنه ينزل

(مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)بأسرار الأمور و بواطنها كظواهرها

من عند(حَكِيمٍ)يضع الأشياء مواضعها و ينزلها منازلها_حَكِيمٌ فِي أَوَامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ

و إذا كان من عند (حَكِيمٍ عَلِيمٍ)علم أنه كله حكمة و مصالح للعباد من الذي هو أعلم بمصالحهم منهم؟

*عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ جَلِيلِهَا وَ حَقِيرِهَا فَخَبَرُهُ هُوَ الصِّدْقُ الْمَحْضُ وَ حُكْمُهُ هُوَ الْعَدْلُ التَّامُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الأنعام: 115] ﴿٦﴾

(إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا)إلى آخر قصته يعنى:–

اذكر هذه الحالة الفاضلة الشريفة من أحوال موسى بن عمران عليه السلام ابتداء الوحى إليه و اصطفائه برسالته و تكليم الله إياه و ذلك أنه لما مكث فى مدين عدة سنين و سار بأهله من مدين متوجها إلى مصر فلما كان فى أثناء الطريق ضل و كان فى ليلة مظلمة باردة فقال لهم:–

موسى و بعض معجزاته 7-14

(إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ)أبصرت(نَارٗا)تَأَجَّجُ وَ تَضْطَرِمُ من بعيد(سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ)عن الطريق

(أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ)بشعلة نار

(لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ)تستدفئون و هذا دليل على أنه تائه و مشتد برده هو و أهله ﴿٧﴾

(فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ)قُدّس(مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا)أَيْ: مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

ناداه الله تعالى و أخبره أن هذا محل مقدس مبارك و من بركته أن جعله الله موضعا لتكليم الله لموسى و ندائه و إرساله.

فَلَمَّا أَتَاهَا رَأَى مَنْظَرًا هَائِلًا عَظِيمًا حَيْثُ انْتَهَى إِلَيْهَا وَ النَّارُ تَضْطَرِمُ فِي شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ لَا تَزْدَادُ النَّارُ إِلَّا تَوَقُّدًا وَ لَا تَزْدَادُ الشَّجَرَةُ إِلَّا خُضْرَةً وَ نَضْرَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا نُورُهَا مُتَّصِلٌ بِعَنَانِ السَّمَاءِ.

*مسلم(179) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ:-قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ:-فَقَالَ:-

1-إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ

2-يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَ يَرْفَعُهُ

3-يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ

4-حِجَابُهُ النُّورُ – وَ فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ –

5-لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ "

*أحمد19587 عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-

"......حِجَابُهُ النَّارُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ " ثُمَّ قَرَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ :-

{نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا}

(وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)عن أن يظن به نقص أو سوء بل هو الكامل في وصفه و فعله.

*الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَ لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَصْنُوعَاتِهِ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْمُبَايِنُ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَ لَا يَكْتَنِفُهُ الْأَرْضُ وَ السَّمَوَاتُ بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الْمُنَزَّهُ عَنْ مُمَاثَلَةِ الْمُحْدَثَاتِ ﴿٨﴾

(يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ)أى: أخبره الله أنه الله المستحق للعبادة وحده لا شريك له كقوله:–

(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي)

(ٱلۡعَزِيزُ)الذى قهر جميع الأشياء و أذعنت له كل المخلوقات

(ٱلۡحَكِيمُ)فى أمره و خلقه.

و من حكمته:–أن أرسل عبده موسى بن عمران الذى علم الله منه أنه أهل لرسالته و وحيه و تكليمه.

و من عزته:–

أن تعتمد عليه و لا تستوحش من انفرادك و كثرة أعدائك و جبروتهم فإن نواصيهم بيد الله و حركاتهم و سكونهم بتدبيره﴿٩﴾

(وَأَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ)و هو ذكر الحيات سريع الحركة(ليس جانّ من الجن قسيم الإنس)

*البخارى 3312 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ الحَيَّاتِ

*البخارى 3313 - فَحَدَّثَهُ أَبُو لُبَابَةَ:-«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺنَهَى عَنْ قَتْلِ جِنَّانِ البُيُوتِ فَأَمْسَكَ عَنْهَا»

(وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ)يَلْتَفِتْ مِنْ شِدَّةِ فَرَقِهِ و ذعرهمن الحية التى رأى على مقتضى الطبائع البشرية فقال الله له:

(يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ)كقوله:–(أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ* إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ)

لأن جميع المخاوف مندرجة فى قضائه و قدره و تصريفه و أمره فالذين اختصهم الله برسالته و اصطفاهم لوحيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله خصوصا عند زيادة القرب منه و الحظوة بتكليمه﴿١٠﴾

(إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ)أى:فهذا الذى هو محل الخوف و الوحشة بسبب:–

ما أسدى من الظلم و ما تقدم له من الجرم و أما المرسلون فما لهم و للوحشة و الخوف؟

*و مع هذا من ظلم نفسه بمعاصى الله ثم تاب و أناب فبدل سيئاته حسنات و معاصيه طاعات

(فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ)فلا ييأس أحد من رحمته و مغفرته فإنه يغفر الذنوب جميعا و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

*هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ وَ فِيهِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْبَشَرِ وَ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى عَمَلِ شَيْءٍ ثُمَّ أَقْلَعَ عَنْهُ وَ رَجَعَ وَ أَنَابَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: 82]

وَ قَالَ{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}[النِّسَاءِ: 110]﴿١١﴾

(وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ)لا برص و لا نقص بل بياض يبهر الناظرين شعاعه.

*هاتان الآيتان انقلاب العصا حية تسعى و إخراج اليد من الجيب فتخرج بيضاء

(فِي)جملة(تِسْعِ ءَايَٰتٍ)تذهب بها و تدعو(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ)

(إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ)فسقوا بشركهم و عتوهم و علوهم على عباد الله و استكبارهم فى الأرض بغير الحق.

فذهب موسى عليه السلامإلى فرعون و ملئه و دعاهم إلى الله تعالى و أراهم الآيات﴿١٢﴾

(فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً)مضيئة تدل على الحق و يبصر بها كما تبصر الأبصار بالشمس.

(قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ)لم يكفهم مجرد القول بأنه سحر بل قالوا:–

(مُّبِينٌ) ظاهر لكل أحد.

و هذا من أعجب العجائب الآيات المبصرات و الأنوار الساطعات تجعل من بين الخزعبلات و أظهر السحر!

هل هذا إلا من أعظم المكابرة و أوقح السفسطة(١٣)

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

(وَجَحَدُوا۟ بِهَا) كفروا بآيات الله جاحدين لها

(وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ)

أى: ليس جحدهم مستندا إلى الشك و الريب و إنما جحدهم مع علمهم و يقينهم بصحتها
*عَلِمُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهَا حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ لَكِنْ جَحَدوها وَ عَانَدُوهَا وَ كَابَرُوهَا

(ظُلْمًا) منهم لحق ربهم و لأنفسهم (وَعُلُوًّا) على الحق و على العباد و على الانقياد للرسل

(فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)

أسوأ عاقبة دمرهم الله و غَرَّقهم فى البحر و أخزاهم و أورث مساكنهم المستضعفين من عباده ﴿١٤﴾

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ)

يذكر في هذا القرآن و ينوه بمنته على داود و سليمان ابنه بالعلم الواسع الكثير بدليل التنكير كما قال تعالى:
(وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) الآية

داود و سليمان و نعم الله عليهما 15-19

(وَقَالَا) شاكرين لربهما منته الكبرى بتعليمهما:-

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

فحمدا الله على جعلهما من المؤمنين أهل السعادة و أنهما كانا من خواصهم.

و لا شك أن المؤمنين أربع درجات:-

1-الصالحون 2-ثم فوقهم الشهداء 3-ثم فوقهم الصديقون 4-ثم فوقهم الأنبياء

و داود و سليمان من خواص الرسل و إن كانوا دون درجة أولى العزم الخمسة لكنهم من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم و مدحهم في كتابه مدحا عظيما فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة

و هذا عنوان سعادة العبد أن يكون شاكرا لله على نعمه الدينية و الدنيوية و أن يرى جميع النعم من ربه فلا يفخر بها و لا يعجب بها بل يرى أنها تستحق عليه شكرا كثيرا

*فلما مدحهما مشتركين خص سليمان بما خصه به لكون الله أعطاه ملكا عظيما و صار له من الماجريات ما لم يكن لأبيه صلى الله عليهما و سلم فقال:-

(وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ)علم و نبوة(دَاوُۥدَۖ)وَ لَيْسَ الْمُرَادُ وراثَةَ الْمَالِ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَخُصَّ سُلَيْمَانَ وَحْدَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَوْلَادِ دَاوُدَ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لِدَاوُدَ مائةُ امْرَأَةٍ. فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تُوَرَّثُ أَمْوَالُهُمْ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِﷺ

البخارى6727 - عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:-«لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»

فانضم علم أبيه إلى علمه فلعله تعلم من أبيه ما عنده من العلم مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه كما تقدم من قوله ففهمناها سليمان

(وَقَالَ)شكرا لله و تبجحا بإحسانه و تحدثا بنعمته:-

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ)

فكان عليه الصلاة و السلام يفقه ما تقول و تتكلم به كما راجع الهدهد و راجعه و كما فهم قول النملة للنمل كما يأتي و هذا لم يكن لأحد غير سليمانعليه السلام

(وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ)

أعطانا الله من النعم و من أسباب الملك و من السلطنة و القهر ما لم يؤته أحدا من الآدميين

و لهذا دعا ربه فقال:-(وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى)

فسخر الله له الشياطين يعملون له كل ما شاء من الأعمال التي يعجز عنها غيرهم و سخر له الريح غدوها شهر و رواحها شهر.

(إِنَّ هَٰذَا)الذى أعطانا الله و فضلنا و اختصنا به

(لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ)الواضح الجلى فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله تعالى﴿١٦﴾

(وَحُشِرَ)جُمِع(لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ)

جموع كثيرة هائلة متنوعة من بنى آدم و من الجن و الشياطين و من الطيور

(فَهُمۡ يُوزَعُونَ)يَجْمَعُونَ ثُمَّ يُسَاقُونَ_يدبرون و يرد أولهم على آخرهم و ينظمون غاية التنظيم فى سيرهم و نزولهم و حلهم و ترحالهم قد استعد لذلك و أعد له عدته.

و كل هذه الجنود مؤتمرة بأمره لا تقدر على عصيانه و لا تتمرد عنه قال تعالى:-(هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ)

أى: أعط بغير حساب فسار بهذه الجنود الضخمة في بعض أسفاره﴿١٧﴾

(حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ)منبهة لرفقتها و بنى جنسها:-

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)

فنصحت هذه النملة و أسمعت النمل:-

1-إما بنفسها و يكون الله قد أعطى النمل أسماعا خارقة للعادة لأن التنبيه للنمل الذى قد ملأ الوادى بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب.

2-و إما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع و أمرتهن بالحذر و الطريق في ذلك و هو دخول مساكنهن.

*و عرفت حالة سليمان و جنوده و عظمة سلطانه و اعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد منهم و لا شعور فسمع سليمان عليه السلام قولها و فهمه﴿١٨﴾

(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا)إعجابا منه بفصاحتها و نصحها و حسن تعبيرها.

*و هذا حال الأنبياء عليهم الصلاة و السلام الأدب الكامل و التعجب في موضعه و أن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم كما كان الرسول ﷺ جُلَّ ضحكه التبسم

فإن القهقهة تدل على: خفة العقل و سوء الأدب.

*و عدم التبسم و العجب مما يتعجب منه يدل على:-شراسة الخلق و الجبروت.

و الرسل منزهون عن ذلك

*البخارى3019 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ وَ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:-قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ(موضع اجتماعه) فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ:- أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً(الجيل من كل حى)مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ (تنزه وتقدس)

(قال الله تعالى {وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا} (الإسراء 44). (تفقهون) تفهمون])

(وَقَالَ)شاكرا لله الذى أوصله إلى هذه الحال:-

(رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ)ألهمنى و وفقنى

(أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ)فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد.

فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية و الدنيوية عليه و على والديه

(وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا)أي:و وفقني أن أعمل صالحا

(تَرۡضَىٰهُ)لكونه موافقا لأمرك مخلصا فيه سالما من المفسدات و المنقصات

(وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ)التي منها الجنة(فِي)جملة(عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم و منازلهم.

فهذا نموذج ذكره الله من حالة سليمان عند سماعه خطاب النملة و نداءها﴿١٩﴾

*ثم ذكر نموذجا آخر من مخاطبته للطير فقال:-

سليمان مع الهدهد 20-28

(وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ)-دل هذا على:-

1-كمال عزمه و حزمه و حسن تنظيمه لجنوده

2-و تدبيره بنفسه للأمور الصغار و الكبار حتى إنه لم يهمل هذا الأمر و هو تفقد الطيور و النظر:-

هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ و هذا هو المعنى للآية.و لم يصنع شيئا من قال:-

إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء و قربه كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة

فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل العقلي و اللفظي دال على بطلانه أما العقلي:-

فإنه قد عرف بالعادة و التجارب و المشاهدات أن هذه الحيوانات كلها ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة و لو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات.

و أما الدليل اللفظي:-

فلو أريد هذا المعنى لقال:-«و طلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال»أو«فتش عن الهدهد» أو«بحث عنه» و نحو ذلك من العبارات

و إنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها و الغائب و لزومها للمراكز و المواضع التي عينها لها.

و أيضا فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج و لا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد

فإن عنده من الشياطين و العفاريت ما يحفرون له الماء و لو بلغ فى العمق ما بلغ. و سخر الله له الريح غدوها شهر و رواحها شهر فكيف - مع ذلك- يحتاج إلى الهدهد؟

و هذه التفاسير التي توجد و تشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها تنقل هذه الأقوال عن بنى إسرائيل مجردة و يغفل الناقل عن مناقضتها للمعانى الصحيحة و تطبيقها على الأقوال ثم لا تزال تتناقل و ينقلها المتأخر مسلما للمتقدم حتى يظن أنها الحق فيقع من الأقوال الردية فى التفاسير ما يقع

و اللبيب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربى المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم و جاهلهم و أمرهم بالتفكر في معانيه و تطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعانى التى لا تجهلها العرب العرباء

و إذا وجد أقوالا منقولة عن غير رسول الله ﷺردها إلى هذا الأصل فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالا عليها و إن خالفته لفظا ومعنى أو لفظا أو معنى ردها وجزم ببطلانها لأن عنده أصلا معلوما مناقضا لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام و دلالته.

و الشاهد أن تفقد سليمانعليه السلامللطير و فقده الهدهد يدل على كمال حزمه و تدبيره للملك بنفسه و كمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير

(فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ)

أي: هل عدم رؤيتى إياه لقلة فطنتى به لكونه خفيا بين هذه الأمم الكثيرة؟

أم على بابها بأن كان غائبا من غير إذنى و لا أمرى؟(٢٠)فحينئذ تغيظ عليه و توعده فقال:-

(لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا)دون القتل كنتف ريشه

(أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ)حجة(مُّبِينٖ)ــة واضحة على تخلفه

و هذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب و غيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه و فطنته(٢١)

(فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ)

ثم جاء و هذا يدل على هيبة جنوده منه و شدة ائتمارهم لأمره حتى إن هذا الهدهد الذى خلفه العذر الواضح لم يقدر على التخلف زمنا كثيرا (فَقَالَ) لسليمان:-

(أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ)أى: عندى العلم علم ما أحطت به على علمك الواسع و على درجتك فيه

(وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ)القبيلة المعروفة في اليمن_هم حِمْيَر و هم ملوك اليمن

(بِنَبَإٖ)بخبر(يَقِينٍ)متيقن(٢٢)

الإعجاز فى قوله تعالى:

(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[النمل 18]الرابط

و هذه الآية تثبت أن للنمل لغة يتخاطبون بها و لم يستبعد العلماء المسلمون هذا الأمر.

قال أبو السعود: "و قوله تعالى: (قالت نملة)جواب إذا كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادى فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعتها فى الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء و مناصحتهم فأجروا مجراهم حيث جعلت هى قائلة وما عداها من النمل مقولاً لهم حيث قيل (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم)مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم و قال الخازن فى تفسيره:-

"(يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ)و لم يقل ادخلن لأنه جعل لهم عقولاً كالآدميين فخوطبوا خطاب الآدميين و هذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلاً ونطقاً فإنه قادر على ذلك"[4].

و قال ابن الجوزي:-

"قوله تعالى (قالت نملة)أي صاحت بصوت فلما كان ذلك الصوت مفهوماً عبر عنه بالقول

و لما نطق النمل كما ينطق بنو آدم أجرى مجرى الآدميين فقيل ادخلوا و ألهم الله تلك النملة معرفة سليمان معجزاً له.

و قد ألهم الله النمل كثيراً من مصالحها تزيد به على الحيوانات فمن ذلك أنها تكسر كل حبة تدخرها قطعتين لئلا تنبت إلا الكزبرة فإنها تكسرها أربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت قطعتين فسبحان من ألهمها هذا"[5].

وقال الألوسى: "ومن تتبع أحوال النمل لا يستبعد أن تكون له نفس ناطقة فإنه يدخر فى الصيف ما يقتات به فى الشتاء ويشق ما يدخره من الحبوب نصفين مخافة أن يصيبه الندى فينبت إلا الكزبرة و العدس فإنه يقطع الواحدة منهما أربع قطع و لا يكتفي بشقها نصفين لأنها تنبت كما تنبت إذا لم تشق

و هذا وأمثاله يحتاج إلى علم كلى استدلالى و هو يحتاج إلى نفس ناطقة

و ظواهر الآيات والأخبار الصحيحة تقتضيه كما سمعت قديماً و حديثاً فلا حاجة بك إلى أن تقول:-

يجوز أن يكون الله تعالى قد خلق فى النملة إذ ذاك النطق و فيما عداها من النمل العقل و الفهم

و أما اليوم فليس فى النمل ذلك"[6].

و فى السنة النبوية أخبر النبى ﷺأن النمل أمة من الأمم تسبح الله تعالى فعن أبي هريرةؓ عن رسول الله ﷺ:«أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح» [مسلم2241]

و فى رواية أخرى أن النبى ﷺقال:-«نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة» [مسلم 2241]

أى فهلا عاقبت نملة واحدة هى التى قرصتك لأنها الجانية و أما غيرها فليس لها جناية.

و جاء النهى عن قتل النمل أو تحريق مساكنه بالنار فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:-

«إن النبي ﷺنهى عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد»[صحيح الجامع 879]

و عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال:

كنا مع رسول الله ﷺفى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة (الحمرة طائر) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش (أى ترفرف) فجاء النبى ﷺ فقال:-

«من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»و رأى قرية نمل قد حرقناها فقال:-

«من حرق هذه؟ قلنا: نحن قال: إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار» [صحيح أبي داود2329]

و النملة من جملة المخلوقات التى تدعو بالرحمة و المغفرة لمعلمى الناس الخير فعن أبى أمامة الباهلى ؓقال:ذكر لرسول الله ﷺرجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ:-

«فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم قال رسول الله ﷺ:-

إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة فى جحرها و حتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» [صحيح الجامع 4213]

و قد أجاب الله تعالى دعاء نملة طلبت السقيا فعن أبي هريرة ﷺقال: سمعت رسول الله ﷺيقول:-
«خرج نبي من الأنبياء يستسقى فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال:-
ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل شأن النملة»[الحاكم]
و كل هذه النصوص تؤكد أن الإسلام نظر للنمل نظرة احترام وتقدير.
نبذة مختصرة عن حياة النمل:
النمل من الحشرات التى تعود إلى صنف غشائية الأجنحة و لها ستة أرجل فالنمل حشرة صغيرة ذات فعل كبير فهى تمثل 20% من الكائنات الحية على كوكب الأرض
فقد عرف النمل منذ القدم فهو بحسب كلام المختصين منذ العصر الطباشيرى فقد عايشت الديناصورات
و هى موجودة منذ 92 مليون سنة ويوجد منها حوالى 20 ألف نوع و هى منتشرة على الكرة الأرضية
و تعيش فى كل مكان تجدها فى السهول و تجدها فى أعالى الجبال فهى موزعة على عموم الكرة الأرضية تحت الأرض أو فوق الأشجار.
و أغلب النمل من صنف الشغالات Ant Workers و هو الأكثر انتشاراً فى العالم
و الشغالات كلهن من الإناث يعشن فيما يسمى بالمستعمرات و لكل مستعمرة ملكة واحدة عملها وضع البيض.
وعدد البيض الذي تضعه الملكة يختلف بحسب نوع النمل
و قد يتراوح من بضع مئات إلى عدة ملايين فالنوع الإفريقى من النمل تضع ملكته ما يقرب من 3 إلى 4 ملايين بيضة شهريًّا.
ويعتبر النمل من أطول الحشرات عمراً على الأرض فإنه يعيش من بضعة أشهر إلى عدة سنوات وقد يصل عمر الملكة إلى 20 عامًا.
أما ذكور النمل فعملها محصور فى التزاوج فقط فى تلقيح الملكة فحينما تقرر الملكة التزاوج يأتي واجبها و بعد ذلك تموت الذكور مباشرة فأثناء عملية التزاوج تطرح الملكة أجنحتها و تفرز رائحة تميز رائحة المستعمرة.
وهذه الحشرة اجتماعية جداً ولا يمكنها العيش بصورة منفردة حيث أنها تعيش فى مجاميع أو أعشاش أو مستعمرات.
و أعشاش النمل ليست واحدة لجميع أنواع النمل فمثلاً نمل المحاصيل Hanester Ants يبنى حجرات متصلة تحت الأرض بينما يشبك النمل الخياط Tailor Ants أوراق الشجر و يصنع عشاً أخضراً أسطوانى الشكل وهناك أعشاش أخرى للنمل قد تكون على شكل حجرات داخل الأشجار مثل ما يفعل النمل الحفار Carpenter Ants و أعشاش النمل تحت الأرض قد تبلغ أربعين قدماً عمقاً تحت الأرض
فقد تمكن فريق من العلماء الأوروبيين من اكتشاف مستعمرة هائلة للنمل تمتد لآلاف الأميال من إيطاليا إلى شمال غرب أسبانيا.
و تعداد النمل فى العش أو المستعمرة قد يصل إلى عشرات الملايين.
و بيت النمل مقسم ففيه حجرات للصغار و هناك حجرة خاصة للملكة وحجرات تستخدم كمخازن للطعام
والنمل مقسم إلى مجاميع لكل منها واجبه الخاص والمحدد فمنها من هو مسئول عن الحراسة
ومنها من هو مسئول عن التنظيف ومنها من هو مسئول عن الفلاحة
ويجب عدم الاستغراب إن قلنا بأن مجتمع النمل فاق بنجاحه مجتمع البشر بطريقة أو أخرى.

فالنمل يبنى المدن ويشقُّ الطرقات ويحفر الأنفاق و يخزِّن الطعام فى مخازن ومستودعات وبعض أنواع النمل يقيم الحدائق و يزرع النباتات ليتغذى عليها.
و بعض أنواع النمل يحتفظ بمواشى خاصة به فيحلب الرحيق من بطنها.
و النمل تشن حروباً على قبائل النمل الأخرى و تأخذ الأسرى من النمل المهزوم وتسخره لخدمتها و بعض أنواع النمل تستأنس حشرات أخرى فى أوكارها للاستفادة منها.
و صدق الله عندما قال فى محكم كتابه العزيز:-
(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [الأنعام: 38]
الإعجاز البلاغى فى قوله تعالى:-
(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)
و يكفى فى فطنتها ما نص الله عز وجل فى كتابه من قولها لجماعة النمل و قد رأت سليمان ﵇وجنوده
(يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)
و لذلك أعجب سليمان قولها و تبسم ضاحكاً منه و سأل الله أن يوزعه شكر نعمته عليه لما سمع كلامها و لا تستبعد هذه الفطنة من أمة من الأمم تسبح بحمد ربها"
وهذه الآية من الآيات البديعة التى جمعت بين الإيجاز و الإطناب فى أسلوب رفيع
*أما الإطناب فنلحظه فى قول هذه النملة: (يَا أَيُّهَا) وقولها: (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ).
*أما قولها: (يَا أَيُّهَا) فقال سيبويه:-
"الألف و الهاء لحقت (أيّ) توكيدًا فكأنك كررت (يا) مرتين و صار الاسم تنبيهًا".
*كرر النداء فى القرآن بـ(يا أيها) دون غيره لأن فيه أوجهاً من التأكيد و أسباباً من المبالغة منها:
ما فى (يا) من التأكيد و التنبيه و ما فى (ها) من التنبيه و ما فى التدرُّج من الإبهام فى (أيّ) إلى التوضيح و المقام يناسبه المبالغة و التأكيد"و أما قولها:(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)فهو تكميل لما قبله جيء به لرفع توهم غيره و يسمَّى ذلك عند علماء البلاغة و البيان:-احتراساً وذلك من نسبة الظلم إلى سليمان ﵇
و كأن هذه النملة عرفت أن الأنبياء معصومون فلا يقع منهم خطأ إلا على سبيل السهو.
و فى ذلك قال الفخر الرازى:-"وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الأنبياء عليهم السلام".
اشتملت هذه الآية -على قصرها- على معانٍ بلاغية كثيرة فقد جمعت هذه الآية عشرة أنواع من الخطاب في موطن واحد هذه الأنواع هي:-
النداء و التنبيه و التسمية و الأمر و النص و التحذير و التخصيص و التفهيم و التعميم و الاعتذار.
وأما الإيجاز فنلحظه فيما جمعت هذه النملة في قولها من أجناس الكلام فقد جمعت:-
فالنداء (يا) و الكناية (أيُّ) و التنبيه (ها)و التسمية (النمل)و الأمر (ادخلوا) و النص (مساكنكم) و التحذير (لا يحطمنكم) و التخصيص (سليمان) و التعميم (جنوده) و الإشارة (هم) والعذر (لا يشعرون)
فأدّت هذه النملة بذلك خمسة حقوق:-
حق الله تعالى و حق رسوله و حقها و حق رعيتها و حق الجنود
فأما حق الله تعالى:- فإنها استُرعيت على النمل فقامت بحقهم.
و أما حق سليمان ﵇:-فقد نبَّهته على النمل.

و أما حقها:-فهو إسقاطها حق الله تعالى عن الجنود فى نصحهم.
و أما حق الرعية:-فهو نصحها لهم ليدخلوا مساكنهم.
و أما حق الجنود:- فهو إعلامها إياهم و جميع الخلق
أن من استرعاه الله تعالى رعيَّة وجب عليه حفظها و الذبّ عنها
و هو داخل فى الحديث المشهور:-«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[مسلم 1829]
و أما قولها: (ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ)ففيه إيجاز بالحذف بليغ لأن أصله:
ادخلوا فى مساكنكم فحذف منه (فى) تنبيهًا على السرعة فى الدخول
و من الفوائد البديعة التى لا يتنبَّه إليها الكثيرون:-
أنك إذا قلت (دخلت) فإنك تعنى بذلك انتقالك من بسيط من الأرض و منكشفها إلى ما كان منها غير بسيط منكشف فإذا كان المنقول إليه مكانًا غير مختصٍّ وجب إدخال (فى) قبله.
و إذا كان مكانًا مختصّاً جاز إدخال (فى) قبله و جاز إسقاطها و إسقاطها أبلغ من إدخالها للفائدة التي ذكرناها
وعلى هذا تقول: دخلت في البيت ودخلت البيت.
ومن دخولها قبل المكان غير المختص قوله تعالى:-(وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [النمل: 19].
وقد اجتمع ذكرها وحذفها في قول الله تعالى:
(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي)[الفجر: 27-30]
و أما قولها: (لَا يَحْطِمَنَّكُمْ)بنون مشددة أو خفيفة فظاهره النفىُ و لكن معناه على النهى.
و النهىُ إذا جاء على صورة النفى كان أبلغ من النهى الصريح.
و فيه تنبيه على أن من يسير فى الطريق لا يلزمه التحرُّز و إنما يلزم من كان فى الطريق(17).
و النملة بدأت مخاطبة قومها مخاطبة العقلاء:-
و جاءت بلفظ مساكنكم ولم تقل بيوتكم أو جحوركم لأنهم في حالة حركة و الحركة عكسها السكون فاختارت لفظ المساكن من السكون حتى يسكنوا فيها
ولم تقل المساكن و الجحور وإنما قالت مساكنكم أى أن لكل نملة مسكنها الخاص الذى تعلم مكانه ولم تقل ادخلن وإنما قالت ادخلوا ثم أكدّت بالنداء بقولها (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ
حرف النداء الدال على البعد حتى يسمعوا نداءها
وقالت سليمان و جنوده و لم تقل جنود سليمان حتى ترفع العذر عن سليمان أيضاً فلو قالت جنود سليمان لكان سليمان غير عالم إذا كان قاصداً أو غير قاصد وجاءت بلفظ سليمان بدون أى لقب له كالنبى سليمان للدلالة على أنه مشهور بدون أن يوصف ثم حثتهم على الإسراع فى التنفيذ قبل أن تنالهم المصيبة الرابط
الإعجاز العلمى فى الآية الكريمة:
اكتشف العلماء أن للنمل لغات تفاهم خاصة بينها و ذلك من خلال تقنية التخاطب من خلال الشفرات الكيماوية و ربما كان الخطاب الذى وجهته النملة إلى قومها هو عبارة عن شفرة كيماوية.
فقد أثبتت أحدث الدراسات العلمية أن لكل نوع من أنواع الحيوانات رائحة خاصة به
و داخل النوع الواحد هناك روائح إضافية تعمل بمثابة بطاقة شخصية أو جواز سفر للتعريف بشخصية كل حيوان أو العائلات المختلفة أو أفراد المستعمرات المختلفة.

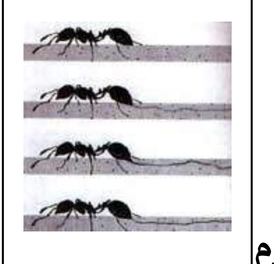
و لم يكن عجيباً أن نجد أحد علماء التاريخ الطبيعى و هو (رويال وكنسون) قد صنف كتاباً مهماً جعل عنوانه (شخصية الحشرات).

و الرائحة تعتبر لغة خفية أو رسالة صامتة تتكون مفرداتها من مواد كيماوية أطلق عليها العلماء اسم (فرمونات)و تجدر الإشارة إلى أنه ليست كل الروائح (فرمونات)

فالإنسان يتعرف على العديد من الروائح فى الطعام مثلاً و لكنه لا يتخاطب أو يتفاهم من خلال هذه الروائح و يقصر الباحثون استخدام كلمة (فرمون) على وصف الرسائل الكيماوية المتبادلة بين حيوان من السلالة نفسها وعليه فقد توصف رائحة بأنها (فرمون)بالنسبة إلى حيوان معين بينما تكون مجرد رائحة بالنسبة لحيوان آخر.

وإذا طبقنا هذا على عالم النمل نجد أن النمل يتميز برائحة خاصة تدل على العش الذي ينتمى إليه و الوظيفة التى تؤديها كل نملة فى هذا العش حيث يتم إنتاج هذه الفرمونات من غدة قرب الشرج وحينما تلتقي نملتان فإنهما تستخدمان قرون الاستشعار و هى الأعضاء الخاصة بالشم لتعرف الواحدة الأخرى.

وقد وجد أنه إذا دخلت نملة غريبة مستعمرة لا تنتمي إليها فإن النمل في هذه المستعمرة يتعرفن عليها عن طريق رائحتها ويعدها عدواً ثم يبدأ في الهجوم عليها ومن الطريف أنه في إحدى التجارب المعملية وجد أن إزالة الرائحة الخاصة ببعض النمل التابع لعشيرة معينة



ثم إضافة رائحة خاصة بنوع آخر عدو له أدى إلى مهاجمته بأفراد من عشيرته نفسها.

وفي تجربة أخرى تم غمس نملة برائحة نملة ميتة ثم أعيدت إلى عشها

فلوحظ أن أقرانها يخرجونها من العش لكونها ميتة

وفي كل مرة تحاول فيها العودة يتم إخراجها ثانية على الرغم من أنها حية تتحرك وتقاوم رائحة الموت فقط تم السماح لهذه النملة بالبقاء في العش.



وحينما تعثر النملة الكشافة على مصدر للطعام :-

فإنها تقوم على الفور بإفراز (الفرمون) اللازم من الغدد الموجودة في بطنها

لتعليم المكان ثم ترجع إلى العش

و فى طريق عودتها لا تنسى تعليم الطريق حتى يتعقبها زملاؤها و فى الوقت نفسه يضيفون مزيداً من الإفراز لتسهيل الطريق أكثر فأكثر.

ومن العجيب أن النمل يقلل الإفراز عندما يتضاءل مصدر الطعام و يرسل عدداً أقل من الأفراد إلى مصدر الطعام و حينما ينضب هذا المصدر تماماً فإن آخر نملة وهى عائدة إلى العش لا تترك أثراً على الإطلاق.

<u>و هنالك العديد من التجارب التى يمكن إجراؤها على دروب النمل هذه:-</u>

فإذا أزلت جزءاً من هذا الأثر بفرشاة مثلاً فإن النمل يبحث في المكان و قد أصابه الارتباك حتى يهتدى إلى الأثر ثانية و إذا وضعت قطعة من الورق بين العش ومصدر الطعام فإن النمل يمشى فوقها واضعاً أثراً كيماوياً فوقها و لكن لفترة قصيرة حيث إنه إذا لم يكن هناك طعام عند نهاية الأثر

فإن النمل يترك هذا الأثر و يبدأ فى البحث عن طعام من جديد الرابط

لقد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة علمية كبيرة و هى ذكاء النمل وقدرته على المحاكمة العقلية و الفكرية و مواجهة الأخطار

وذلك من خلال هذه القصة التى حدثت مع نبى الله سليمان عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

فقد استطاعت نملة صغيرة من تحديد مكان سليمان والطريق الذى سوف يمر به وهذا لم يكن ليتم لولا هذه القدرات الخارقة التى يتمتع بها النمل.

ولقد كشف العلم الحديث عن بعض العجائب من سلوك النمل الذكى و تطور جهازها العصبى فعند دراسته تحت المجهر يظهر لنا أن دماغ النملة يتكون من فصين رئيسيين يشبه مخ الإنسان و من مراكز عصبية متطورة و خلايا حساسة.

(صورة حديثة لدماغ النملة)

A:-صورة الدماغ كما يظهر بواسطة الفلور المشع.

B:-صورة للجزء الخاص بتحليل المعلومات في دماغ النملة.

C:-منحنى يبين استجابة النملة لدى نشر رائحة معينة

حيث نلاحظ وجود نشاط في الدماغ تمثله القفزة فى المنحنى.



D:-اختبار للنملة بواسطة كرة إلكترونية تظهر ذكاء النمل وسرعة استجابته للمؤثرات.

وسنحاول تفصيل العبارات التي نطقت بها النملة من خلال ما جاء في القرآن الكريم و نربطه بالاكتشافات العلمية لنجد أن القرآن الكريم سبق هذه الاكتشافات بمئات السنين يقول رب العزة فى كتابه المبين:-

(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

[النمل 18]فالنملة فى هذه الآية أوصلت خبر الخطر فى أربع مراحل متسلسلة.. و هى كالتالى:-

1-(قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ):-و هذه العبارة بمثابة أول صفارة إنذار أطلقتها النملة لتثير الانتباه العاجل لباقى النمل و هنا باقى النمل يستقبل هذه الإشارة لينتبه إلى باقى الإشارات التى ستصدرها النملة.

2- (ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ):-هنا أتبعت النملة كلامها بإشارة أخرى تأمر فيها باقى النمل بما يجب القيام به و سنرى هذه العلاقة بما أثبته العلم فى الشق الآخر للتحليل العلمى.

3-(لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ):-فى هذه العبارة قامت النملة بتوضيح سبب الخطر لرفيقاتها و هذا ما سنثبت أيضاً علاقته مع ما ذكره التحليل العلمى.

4-(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)النمل وكردة فعل لما سبق من إنذارات سيحاول القيام بنوع من الدفاع وفي هذه العبارة الأخيرة وضحت النملة لباقي رفيقاتها بأنه لا ضرورة للدخول فى هجوم مع هذا الخطر لأنه ليس نابعاً عن عدو حقيقي هدفه الهجوم على المملكة إذ أن سليمان وجنوده لم يشعروا أصلاً بوجود وادى النمل فى طريقهم لهذا فهو لا يعتبر عدواً حقيقياً.

و نلاحظ أن هذه العبارة الأخيرة قامت فيها النملة بمنع باقى رفيقاتها من الدخول فى حالة مواجهة مع سيدنا سليمان عليه السلام و هذا ما سنثبته عملياً من خلال التحليل العلمى للشفرات الكيماوية الخاصة بتواصل النمل.

ها نحن وضحنا هنا تسلسل كلام النملة و الذى ينقسم إلى أربع مراحل من العبارات والإشارات.

فماذا يقول العلم فى هذا الباب.

يذكر العلم الحديث أن أهم وسيلة لتواصل النمل فى مواقف الخطر والإبلاغ على هذا الخطر هى طريقة التواصل الكيماوية حيث يصدر النمل أنواعاً مختلفة من هذه المواد كل مادة تعبر عن شفرة خاصة من الكلام بحيث إذا تبعنا تسلسل إخراج هذه المواد من النملة التى بلغت عن الخطر سنجده بالضبط يوافق ما ذكرته النمل فى الآية رقم 18 من سورة النمل.

فالمواد الكيماوية التى تستخرجها النملة من جسمها فى موقف كهذا تنقسم إلى أربع مواد مختلفة كل مادة تحمل معها لغة و شفرة معينة من الكلام.

المراحل التسلسلية لرد فعل النمل:

أول مادة تصدرها النملة إذا شعرت بوجود الخطر هى مادة (aldéhyde l'hexanal)

و هذه المادة تعد حقاً بمثابة صفارة إنذار فالنمل عند استقباله لهذه المادة الأولى يقوم بالتمركز والانتباه لاستقبال باقي الإشارات و هذا ما يطابق تماماً أول عبارة نطقت بها النملة (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ)

و الياء هنا أداة للتنبيه و النداء (يا أيها)!.

ثم تقوم النملة بإصدار المادة الكيماوية الثانية و هى مادة (l'hexanol)

فالنمل يجرى فى كل الاتجاهات بعد استقباله للمادة الأولى لمعرفة مصدر الخبر و لكى لا يتوجه النمل بعيداً فيجب على النملة أن تحدد لهم الطريق الذى يسيرون فيه وهذا ما فعلته نملة سيدنا سليمان عندما قالت:(ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ)و هذا توجيه من النملة لزملائها أن يذهبوا باتجاه المساكن

إذن هى حددت لهم الطريق وهذا ما يطابق توجيه حركة النمل.

و المادة الثالثة الكيماوية التى تصدرها النملة هى مادة (l'undécanone)

و هذه المادة دورها بالضبط توضيح سبب الخطر لباقى النمل و هو ما قامت به النملة فى قولها في العبارة الثالثة (لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ)

و هذا يتطابق تماماً مع ما ذكرته الآية على لسان النملة و فى هذه المرحلة التى يستقبل فيها النمل هذه المادة يدخل فى استعداد لمواجهة هذا الخطر.

و فى المرحلة الرابعة تصدر النملة مادة كيماوية خاصة (le butylocténal)توجه بها باقى النمل إلى الدفاع و إلى نوع هذا الدفاع

و لهذا نجد النملة ذكرت فى عبارتها الأخيرة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)و بهذا منعت النملة باقى النمل من الانتقال إلى مرحلة الهجوم التى تؤدى إلى الموت الرابط

و لذلك فقد تبسم سيدنا سليمان ﷺمن عجيب مقالتها و حسن فطنتها و قوة تعبيرها.

و لقد أشار القرآن أن النمل مخلوق اجتماعى يعيش فى مستعمرات و هو مخلوق متعاون متكاتف يشعر كل فرد منه بشعور الآخرين و يظهر ذلك فى سلوك النملة و فى إنذار قومها

و يعيش النمل ضمن مستعمرات يقوم ببنائها و قد تتجاور أعداد كبيرة من المستعمرات مكونة مدينة أو وادياً للنمل كما سمى ذلك فى القرآن الكريم

ففى جبال بنسلفانيا إحدى الولايات الأمريكية:-

أكتشف أحد العلماء أحد أكبر مدن النمل في العالم و قد بنى معظمها تحت الأرض و تشغل مساحتها ثلاثين فداناً حفرت فيها منازل النمل تتخللها الشوارع و المعابر و الطرق و كل نملة تعرف طريقها إلى بيتها بإحساس غريب.

و يمكن أن تصل أعماق مملكة النمل فى بعض الأنواع التى تعيش فى غابات الأمازون إلى(5 أمتار)و اتساعها (7 أمتار)تُنشئ النملات فيها مئات الغرف و الأنفاق و يُحفر وينقل قرابة (أربعين طن) من التراب إلى الخارج و هذه الهندسة المعمارية للمملكة معجزة من معجزات الخلقالرابط

النملة تتحطم!

فى زمن نزول القرآن الكريم لم يكن لأحد قدرة على دراسة تركيب جسم النملة أو معرفة أى معلومات عنه

و لكن بعد دراسات كثيرة تأكد العلماء أن للنمل هيكلاً عظمياً خارجياً صلباً جداً يسمى **exoskeleton** ولذلك فإن النملة لدى تعرضها لأى ضغط فإنها تتحطم و لذلك قال تعالى على لسان النملة:-

(لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ) وبالتالى فإن كلمة (يَحْطِمَنَّكُمْ)و التى تعنى التكسر دقيقة جداً من الناحية العلميةالرابط و تشير دراسات جديدة أيضاً إلى أن جسم النمل يتركب معظمه من كمية كبيرة من السليكون الذى يدخل فى صناعة الزجاج و التحطيم هو أنسب الأوصاف للفعل الدالّ على التكسير و التهشيم و الشدةالرابط

ويقول أحد العلماء جاءت العبارة (لَا يَحْطِمَنَّكُمْ) هنا للدلالة على طبيعة جسم النملة المفصلية (**Arthropods**) التى تحتاج إلى تحطيم

حيث يتكون جسمها الخارجي من مادة صلبة كالزجاج هى الكيتين (**Chitin**)و هذه المادة تشابه فى تركيبها الكيراتين مادة التكوين للقرون و الحوافر و الأظافر كذلك اكتشف أن أعين النملة ذات طبيعة بلورية كالزجاج لا تنكسر بسهولة بل تحتاج إلى تحطيمالرابط











إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

ثم فسر هذا النبأ فقال:-(إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ)أي: تملك قبيلة سبأ و هى امرأة

(وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ)يؤتاه الملوك من الأموال و السلاح و الجنود و الحصون و القلاع و نحو ذلك

(وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ)أى: كرسى ملكها الذى تجلس عليه عرش هائل

*و عظم العروش تدل على عظمة المملكة و قوة السلطان و كثرة رجال الشورى﴿٢٣﴾

(وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ)أى: هم مشركون يعبدون الشمس.

(وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ)فرأوا ما عليه هو الحق

(فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ)أى:-طريق الحق

(فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ)لأن الذي يرى أن الذى عليه حق لا مطمع فى هدايته حتى تتغير عقيدته﴿٢٤﴾ثم قال:-

(أَلَّا)هلا(يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ)أَيْ:لَا يَعرِفُونَ سَبِيلَ الْحَقِّ الّتِى هِىَ إِخْلَاصُ السُّجُودِ لِلّٰهِ وَحْدَهُ دُونَ مَا خَلَقَ مِنْ شَىْءٍ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَ غَيْرِهَاكَمَا قَالَ:-(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)[فُصِّلَتْ 37]

(ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ)الخفى الخبىء(فِي)أقطار(ٱلسَّمَٰوَٰتِ)و أنحاء(وَٱلۡأَرۡضِ)

من صغار المخلوقات و بذور النباتات و خفايا الصدور و يخرج خبء الأرض و السماء بإنزال المطر و إنبات النباتات و يخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور و إخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم

(وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ)يَعْلَمُ مَا يُخْفِيهِ الْعِبَادُ وَ مَا يُعْلِنُونَهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَ الْأَفْعَالِ.

وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-(سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ)[الرعد: 10] ﴿٢٥﴾

(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)

لا تبغى العبادة و الإنابة و الذل و الحب إلا له لأنه المألوه لما له من الصفات الكاملة و النعم الموجبة لذلك

(رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ)الذى هو سقف المخلوقات و وسع الأرض و السماوات

*فهذا الملك عظيم السلطان كبير الشأن هو الذي يذل له و يخضع و يسجد له و يركع فسلم الهدهد حين ألقى إليه هذا النبأ العظيم و تعجب سليمان كيف خَفِيَ عليه

*أبي داود5267 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:-

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ:-النَّمْلَةُ وَ النَّحْلَةُ وَ الْهُدْهُدُ وَ الصُّرَدُ " ﴿٢٦﴾

و(قَالَ)مثبتا لكمال عقله و رزانته

(سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ)فِي إِخْبَارِكَ هَذَا(أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ)فِي مَقَالَتِكَ فَتَتَخَلَّصَ مِنَ الْوَعِيدِ الَّذِى أَوْعَدْتُكَ؟﴿٢٧﴾

(ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ)استأخر غير بعيد و تنحَّ (عَنۡهُمۡ)قريبًا منهم بحيث تسمع كلامهم فتأمل ما يتردد بينهم من الكلام

(فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ)إليك و ما يتراجعون به ﴿٢٨﴾

فذهب به فألقاه عليها فـــــ(قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ)أشراف قومها

(إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ)ى جليل المقدار من أكبر ملوك الأرض﴿٢٩﴾ثم بينت مضمونه فقالت:-

(إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)﴿٣٠﴾

(أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ)لا تكونوا فوقى بل اخضعوا تحت سلطانى و انقادوا لأوامرى

(وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ)موحدين و قيل مخلصين و قيل طائعين و أقبلوا إلى مسلمين.

و هذا فى غاية الوجازة مع البيان التام فإنه تضمن:-

1-نهيهم عن العلو عليه

2-و البقاء على حالهم التى هم عليها و الانقياد لأمره

3-و الدخول تحت طاعته و مجيئهم إليه و دعوتهم إلى الإسلام

4–و فيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة و تقديم الاسم فى أول عنوان الكتاب

*فَعَرَفُوا أَنَّهُ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عليه السلام وَ أَنَّهُ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ.
وَ هَذَا الْكِتَابُ فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ وَ الْوَجَازَةِ وَ الْفَصَاحَةِ فَإِنَّهُ حَصّل الْمَعْنَى بِأَيْسَرِ عِبَارَةٍ وَ أَحْسَنِهَا
قَالَ الْعُلَمَاءُ:وَ لَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)قَبْلَ سُلَيْمَانَ عليه السلام ﴿٣١﴾

*فمن حزمها و عقلها أن جمعت كبار دولتها و رجال مملكتها و(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي)أخبرونى

(فِي أَمْرِي) ماذا نجيبه به؟ و هل ندخل تحت طاعته و ننقاد؟ أم ماذا نفعل؟

(مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ)أى: ما كنت مستبدة بأمر دون رأيكم و مشورتكم ﴿٣٢﴾

(قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ) سليمان مع ملكة سبأ (بلقيس) 29-44

أي: إن رددت عليه قوله و لم تدخلى فى طاعته فإنا أقوياء على القتال فكأنهم مالوا إلى هذا الرأى الذى لو تم لكان فيه دمارهم و لكنهم أيضا لم يستقروا عليه بل قالوا:–

(وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ)أى:–الرأى ما رأيت لعلمهم بعقلها و حزمها و نصحها لهم

(فَانظُرِي)نظر فكر و تدبر(مَاذَا تَأْمُرِينَ) ﴿٣٣﴾

فقالت لهم – مقنعة لهم عن رأيهم و مبينة سوء مغبة القتال–

(قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا)قتلا وأسرا و نهبا لأموالها و تخريبا لديارها

(وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا)أى:–الرؤساء السادة أشراف الناس (أَذِلَّةً)من الأذلين أى:فهذا رأى غير سديد

و أيضا فلست بمطيعة له قبل الاختبار و إرسال من يكشف عن أحواله و يتدبرها و حينئذ نكون على بصيرة من أمرنا.

فقالت:–(وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) ﴿٣٤﴾

(وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)منه.

هل يستمر على رأيه و قوله؟أم تخدعه الهدية و تتبدل فكرته و كيف أحواله و جنوده؟

فأرسلت له هدية مع رسل من عقلاء قومها و ذوى الرأى منهم

*سَأَبْعَثُ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ تَلِيقُ بِهِ وَ أَنْظُرُ مَاذَا يَكُونُ جَوَابُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَعَلَّهُ يَقْبَلُ ذَلِكَ وَ يَكُفُّ عَنَّا أَوْ يَضْرِبُ عَلَيْنَا خَرَاجا نَحْمِلُهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ وَ نَلْتَزِمُ لَهُ بِذَلِكَ وَ يَتْرُكُ قِتَالَنَا وَ مُحَارَبَتَنَا.
قَالَ قَتَادَةُ: رَحِمَهَا اللَّهُ وَ رَضِىَ عَنْهَا مَا كَانَ أَعْقَلَهَا فِي إِسْلَامِهَا وَ فى شِرْكِهَا!!
[عَلِمَتْ أَنَّ الْهَدِيَّةَ تَقَعُ مَوْقِعًا مِنَ النَّاسِ] ﴿٣٥﴾

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

(فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ)أى: جاءه الرسل بالهدية(قَالَ)منكرا عليهم و متغيظا على عدم إجابتهم:-

(أَتُمِدُّونَنِ)أَتُصَانِعُونَنِى(بِمَالٖ)لِأَتْرُكَكُمْ عَلَى شِرْكِكُمْ وَ مُلْكِكُمْ؟!

(فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم)فليست تقع عندى موقعا و لا أفرح بها قد أغنانى الله عنها و أكثر على النعم

(بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ)لحبكم للدنيا و قلة ما بأيديكم بالنسبة لما أعطانى الله.

*أَنْتُمُ الَّذِينَ تَنْقَادُونَ لِلْهَدَايَا وَ التُّحَفِ وَ أَمَّا أَنَا فَلَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ﴿٣٦﴾

*ثم أوصى الرسول من غير كتاب لما رأى من عقله و أنه سينقل كلامه على وجهه فقال:-

(ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ)بهديتك(فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ)طاقة(لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ)مهانون

*فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهَا رسلُها بِهَدِيَّتِهَا وَ بِمَا قَالَ سُلَيْمَانُ سَمِعَتْ وَ أَطَاعَتْ هِىَ وَ قَوْمُهَا وَ أَقْبَلَتْ تَسِيرُ إِلَيْهِ فِى جُنُودِهَا خَاضِعَةً ذَلِيلَةً مُعَظِّمَةً لِسُلَيْمَانَ نَاوِيَةً مُتَابَعَتَهُ فِى الْإِسْلَامِ.

وَ لَمَّا تَحَقَّقَ سُلَيْمَانُ﵇قُدُومَهُمْ عَلَيْهِ وَ وُفُودَهُمْ إِلَيْهِ فَرِحَ بِذَلِكَ و سَرّه.

*فرجع إليهم و أبلغهم ما قال سليمان و تجهزوا للمسير إلى سليمان و علم سليمان أنهم لا بد أن يسيروا إليه﴿٣٧﴾

فـــــ(قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ)لمن حضره من الجن و الإنس:-

(أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)

لأجل أن نتصرف فيه قبل أن يُسلموا فَتَحْرُمُ عَلَيَّ أَمْوَالُهُمْ بِإِسْلَامِهِمْ ﴿٣٨﴾

(قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ)و العفريت:–هو القوى النشيط جدا

(أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ)مجلسك(وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ)على حمله(أَمِينٌ)على ما فيه من الجوهر

*و الظاهر أن سليمان إذ ذاك فى الشام فيكون بينه و بين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر شهران ذهابا و شهران إيابا

و مع ذلك يقول هذا العفريت:–

أنا التزم بالمجيء به على كبره و ثقله و بعده قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه.

و المعتاد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضحى نحو ثلث يوم هذا نهاية المعتاد و قد يكون دون ذلك أو أكثر و هذا الملك العظيم الذى عند آحاد رعيته هذه القوة و القدرة ﴿٣٩﴾

و أبلغ من ذلك أن(قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ)قال المفسرون:–هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له:–«آصف بن برخيا»كان يعرف اسم الله الأعظم الذى إذا دعا الله به أجاب و إذا سأل به أعطى.

(أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)قبل ارتداد أجفانك إذا تحرّكَتْ للنظر فى شيء.

*ارْفَعْ بَصَرَكَ وَ انْظُرْ مُدّ بَصَرِكَ مِمَّا تَقْدِرُ عَلَيْهِ فَإِنَّكَ لَا يكل بصرك إلا و هو حاضر عندك.

-بأن يدعو الله بذلك الاسم فيحضر حالا و أنه دعا الله فحضر.

فالله أعلم هل هذا المراد أم أن عنده علما من الكتاب يقتدر به على جلب البعيد و تحصيل الشديد

(فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ)حمد الله تعالى على إقداره و ملكه و تيسير الأمور له

و (قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ)ليختبرنى بذلك(ءَأَشْكُرُ)بذلك اعترافًا بنعمته تعالى علىَّ(أَمْ أَكْفُرُ)بترك الشكر؟

كَقَوْلِهِ(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) [فُصِّلَتْ: 46] وَ كَقَوْلِهِ(وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ)[الرُّومِ: 44]

–فلم يغتر عليه السلام بملكه و سلطانه و قدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين

–بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة

–ثم بين أن هذا الشكر لا ينتفع الله به و إنما يرجع نفعه إلى صاحبه فقال:

(وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ)عن أعماله

(كَرِيمٌ)كثير الخير يعم به الشاكر و الكافر إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها و كفرها داع لزوالها

*كَرِيمٌ فِي نَفْسِهِ وَ إِنْ لَمْ يَعْبُدْهُ أَحَدٌ فَإِنَّ عَظَمَتَهُ لَيْسَتْ مُفْتَقِرَةً إِلَى أَحَدٍ وَ هَذَا كَمَا قَالَ مُوسَى:-

{إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} [إبراهيم: 8]

*مسلم(2577)عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺفِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:-

-يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَ جَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا

-يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ

-يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ

-يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ

-يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ أَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ

-يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي

-يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ

كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا

-يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا﴿٤٠﴾

ثم (قَالَ) لمن عنده:- (نَكِّرُوا)غيروا بزيادة و نقص (لَهَا عَرْشَهَا)و نحو ذلك

(نَنظُرْ)مختبرين لعقلها(أَتَهْتَدِيٓ)للصواب و يكون عندها ذكاء و فطنة تليق بملكها(أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ)﴿٤١﴾

(فَلَمَّا جَآءَتْ)قادمة على سليمان عرض عليها عرشها و كان عهدها به قد خلفته في بلدها

و (قِيلَ)لها (أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ)أى:-أنه استقر عندنا أن لك عرشا عظيما فهل هو كهذا العرش الذى أحضرناه لك؟

*عُرِضَ عَلَيْهَا عَرْشُهَا وَ قَدْ غُيِّرَ و نُكِّرَ وَزِيدَ فِيهِ وَ نُقِصَ مِنْهُ فَكَانَ فِيهَا ثَبَاتٌ وَ عَقْلٌ وَ لَهَا لُبٌ وَ دَهَاءٌ وَ حَزْمٌ فَلَمْ تُقْدِمْ عَلَى أَنَّهُ هُوَ لِبُعْدِ مَسَافَتِهِ عَنْهَا وَ لَا أَنَّهُ غَيْرُهُ لِمَا رَأَتْ مِنْ آثَارِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ إِنْ غُيِّرَ وَ بُدِّلَ وَ نُكِّرَ

فـــ(قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ)أَيْ: يُشْبِهُهُ وَ يُقَارِبُهُ. وَ هَذَا غَايَةٌ فِي الذَّكَاءِ وَ الْحَزْمِ.

*و هذا من ذكائها و فطنتها لم تقل « هو » لوجود التغيير فيه و التنكير

*و لم تنف أنه هو لأنها عرفته فأتت بلفظ محتمل للأمرين صادق على الحالين فقال سليمان متعجبا من هدايتها و عقلها و شاكرا لله أن أعطاه أعظم منها:-

(وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا)أى: الهداية و العقل و الحزم من قبل هذه الملكة

(وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)و هى الهداية النافعة الأصلية. و يحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ:

« و أوتينا العلم عن ملك سليمان و سلطانه و زيادة اقتداره من قبل هذه الحالة التى رأينا فيها قدرته على إحضار العرش من المسافة البعيدة فأذعنا له و جئنا مسلمين له خاضعين لسلطانه» ﴿٤٢﴾

قال الله تعالى: (وَصَدَّهَا)مَنَعَهَا(مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ)تعالى

و إلا فلها من الذكاء و الفطنة ما به تعرف الحق من الباطل و لكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب

(إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ)إنها كانت كافرة و نشأت بين قوم كافرين

*فاستمرت على دينهم و انفراد الواحد عن أهل الدين و العادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم و خطئهم من أندر ما يكون

فلهذا لا يستغرب بقاؤها على الكفر ثم إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول فأمرها أن تدخل الصرح و هى المجلس المرتفع المتسع و كان مجلسا من قوارير تجرى تحته الأنهار﴿٤٣﴾

فـــــ(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ)القَصْرٌ عَالِي الْبَنَّاءِ لِيُرِيَهَا مُلْكًا هُوَ أَعَزُّ مِنْ مُلْكِهَا وَ سُلْطَانًا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ سُلْطَانِهَا.

*وَ ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عليه السلام أَمَرَ الشَّيَاطِينَ فَبَنَوْا لَهَا قَصْرًا عَظِيمًا مِنْ قَوَارِيرَ أَيْ: مِنْ زُجَاجٍ وَ أَجْرَى تَحْتَهُ الْمَاءَ فَالَّذِي لَا يَعْرِفُ أَمْرَهُ يَحْسَبُ أَنَّهُ مَاءٌ وَ لَكِنَّ الزُّجَاجَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَاشِي و بَيْنَهُ.

قَالَ اللَّهُ إِخْبَارًا عَنْ فِرْعَوْنَ -لَعَنَهُ اللَّهُ -أَنَّهُ قَالَ لِوَزِيرِهِ هَامَانَ:-

(ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ36 أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى)[غَافِر]

(فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً)ماء لأن القوارير شفافة يرى الماء الذى تحتها كأنه بذاته يجرى ليس دونه شيء

(وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا)لَا تَشُكُّ أَنَّهُ مَاءٌ تَخُوضُهُ

*و هذا أيضا من عقلها و أدبها فإنها لم تمتنع من الدخول للمحل الذى أمرت بدخوله لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام و أن ملك سليمان و تنظيمه قد بناه على الحكمة و لم يكن فى قلبها أدنى شك من حالة السوء بعد ما رأت ما رأت.

فلما استعدت للخوض (قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ)مملس(مِّن قَوَارِيرَ)من زجاج فلا حاجة منك لكشف الساقين.

فحينئذ لما وصلت إلى سليمان و شاهدت ما شاهدت و علمت نبوته و رسالته ثابت و رجعت عن كفرها

و (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي)بِمَا سَلَفَ مِنْ كُفْرِهَا وَ شِرْكِهَا وَ عِبَادَتِهَا وَ قَوْمِهَا الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

أَيْ: مُتَابَعَةً لِدِينِ سُلَيْمَانَ فِي عِبَادَتِهِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الذى خلق كل شيء فقدره تقديرًا.

*فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ و ما جرى لها مع سليمان و ما عدا ذلك من الفروع المولدة و القصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله و هو من الأمور التى يقف الجزم بها على الدليل المعلوم عن المعصوم و المنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك فالحزم كل الحزم الإعراض عنها و عدم إدخالها في التفاسير.و الله أعلم﴿٤٤﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾
قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ
يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ
بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ
﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ)يخبر تعالى أنه أرسل (إِلَىٰ ثَمُودَ) القبيلة المعروفة (أَخَاهُمْ)فى النسب(صَٰلِحًا)
و أنه أمرهم أن يعبدوا الله وحده و يتركوا الأنداد و الأوثان

قصة صالح مع قومه45-53

(فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ)منهم المؤمن و منهم الكافر و هم معظمهم.
*كَقَوْلِهِ تَعَالَى:(قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ75 قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) [الأعراف] ﴿٤٥﴾

(قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ)
أي: لم تبادرون فعل السيئات و تحرصون عليها قبل فعل الحسنات التى بها تحسن أحوالكم و تصلح أموركم الدينية و الدنيوية؟ و الحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب لفعل السيئات؟

(لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ)بأن تتوبوا من شرككم و عصيانكم و تدعوه أن يغفر لكم

(لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين و التائب من الذنوب هو من المحسنين﴿٤٦﴾

(قَالُوا۟)لنبيهم صالح مكذبين و معارضين:-

(ٱطَّيَّرْنَا)تشاءمْنا(بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ)و بمن معك ممن دخل فى دينك
*زعموا – قبحهم الله- أنهم لم يروا على وجه صالح خيرا و أنه هو و من معه من المؤمنين صاروا سببا لمنع بعض مطالبهم الدنيوية فـــــ(قَالَ)لهم صالح:-

(طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ)أى: ما أصابكم إلا بذنوبكم

(بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ)بالسراء و الضراء و الخير و الشر لينظر هل تقلعون و تتوبون أم لا؟

فهذا دأبهم فى تكذيب نبيهم و ما قابلوه به_تُسْتَدْرَجُونَ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ(٤٧)

(وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ)التى فيها صالح الجامعة لمعظم قومه(تِسۡعَةُ رَهۡطٖ)نفر

(يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ)

أى:وصفهم الإفساد فى الأرض و لا لهم قصد و لا فعل بالإصلاح قد استعدوا لمعاداة صالح و الطعن فى دينه و دعوة قومهم إلى ذلك كما قال:-

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ* الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ)(٤٨)

فلم يزالوا بهذه الحال الشنيعة حتى إنهم من عداوتهم (قَالُواْ):-

(تَقَاسَمُواْ)تَحَالَفُوا و تَبَايَعُوا(بِٱللَّهِ)فيما بينهم كل واحد أقسم للآخر

(لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ)نأتى نَبِيِّ اللَّهِ صَالِحٍ ليلا غِيلَةً هو و أهله فلنقتلنهم فَكَادَهُمُ اللَّهُ و جَعَلَ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِمْ.
فَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ حَتَّى هَلَكُوا و قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ.
*تَوَافَقُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ و ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ مَعَانيق إِلَى صَالِحٍ لِيَفْتِكُوا بِهِ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَخْرَةً فَأَهْمَدَتْهُمْ.
*وَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ:-لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ وَ قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ‌عليه السلام:-
(تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) [هُود: 65] قَالُوا:-
زَعَمَ صَالِحٌ أَنَّهُ يُفْرُغُ مِنَّا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَنَحْنُ نَفْرُغُ مِنْهُ وَ أَهْلِهِ قَبْلَ ثَلَاثٍ.
وَ كَانَ لِصَالِحٍ مَسْجِدٌ فِي الحجْر عِنْدَ شِعْبٍ هُنَاكَ يُصَلّى فِيهِ فَخَرَجُوا إِلَى كَهْفٍ أَىْ: غَارٍ هُنَاكَ لَيْلًا فَقَالُوا:-إِذَا جَاءَ يُصَلِّى قَتَلْنَاهُ ثُمَّ رَجَعْنَا إِذَا فَرَغْنَا مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ فَفَرَغْنَا مِنْهُمْ.
فَبَعَثَ اللَّهُ صَخْرَةً مِنَ الهضب حِيَالَهُمْ فَخَشُوا أَنْ تَشْدَخهُمْ فَتَبَادَرُوا فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ وَ هُمْ فِي ذَلِكَ الْغَارِ فَلَا يَدْرِي قَوْمُهُمْ أَيْنَ هُمْ وَ لَا يَدْرُونَ مَا فُعِلَ بِقَوْمِهِمْ.
فَعَذَّبَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ هَاهُنَا وَ هَؤُلَاءِ هَاهُنَا وَ أَنْجَى اللَّهُ صَالِحًا وَ مَنْ مَعَهُ ثُمَّ قَرَأَ:-
(وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً)أَىْ: فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ(بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

(ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ)إذا قام علينا و ادعى علينا أنا قتلناه ننكر ذلك و ننفيه و نحلف

(وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)فتواطئوا على ذلك (٤٩)

(وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا)دبروا أمرهم على قتل صالح و أهله على وجه الخفية حتى من قومهم خوفا من أوليائه

(وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا)بنصر نبينا صالح عليه السلامو تيسير أمره و إهلاك قومه المكذبين

(وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)يتوقعون كيدنا لهم جزاءً على كيدهم﴿٥٠﴾

(فَٱنظُرۡ)أيها الرسول- نظرة اعتبار إلى عاقبة غَدْر هؤلاء الرهط بنبيهم صالح

(كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ)هل حصل مقصودهم؟و أدركوا بذلك المكر مطلوبهم أم انتقض عليهم الأمر و لهذا قال:–

(أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ)أهلكناهم و استأصلنا شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم﴿٥١﴾

(فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ)قد تهدمت جدرانها على سقوفها و أوحشت من ساكنيها و عطلت من نازليها

(بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ)أى هذا عاقبة ظلمهم و شركهم بالله و بغيهم فى الأرض

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ)

الحقائق و يتدبرون وقائع الله فى أوليائه و أعدائه فيعتبرون بذلك و يعلمون أن عاقبة الظلم الدمار و الهلاك و أن عاقبة الإيمان و العدل النجاة و الفوز﴿٥٢﴾و لهذا قال:–

(وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)أنجينا المؤمنين بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره

(وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)الشرك بالله و المعاصى و يعملون بطاعته و طاعة رسله ﴿٥٣﴾

لوط مع قومه 54-58

(وَلُوطًا)أى:و اذكر عبدنا و رسولنا لوطا و نبأه الفاضل

(إِذۡ)حين(قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ) – داعيا إلى الله و ناصحا–:–

(أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ)أى: الفعلة الشنعاء التى تستفحشها العقول و الفطر و تستقبحها الشرائع الَّتِى لَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِى آدَمَ وَ هِىَ إِتْيَانُ الذُّكُورِ دُونَ الْإِنَاثِ وَ ذَلِكَ فَاحِشَةٌ عَظِيمَةٌ اسْتَغْنَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَ النِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ

(وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ)ذلك و تعلمون قبحه فعاندتم و ارتكبتم ذلك ظلما منكم و جرأة على الله.

*يَرَى بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ؟ ﴿٥٤﴾ثم فسر تلك الفاحشة فقال: –

(أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ)أى:–كيف توصلتم إلى هذه الحال صارت شهوتكم للرجال و أدبارهم محل الغائط و النجو و الخبث و تركتم ما خلق الله لكم من النساء من المحال الطيبة التى جبلت النفوس إلى الميل إليها و أنتم انقلب عليكم الأمر فاستحسنتم القبيح و استقبحتم الحسن

(بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ)

متجاوزون لحدود الله متجرئون على محارمه لَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا لَا طَبْعًا وَ لَا شَرْعًا كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:-

(أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ165 وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)[الشُّعَرَاءِ] ﴿٥٥﴾